الصوت اللغوي
وأثره في البيان العربي والقرآني

الدكتور
حيدر علي نعمة
الجامعة العراقية- كلية الآداب

The linguistic voice and its impact in the Arabic and Qur'anic statement Summary

Dr.
Haider Ali Nima

ملخص البحث

تناول البحثُ طائفةً مهمة من المظاهر والتلوينات الصوتية، ووقف على أثرها في البيان العربي والإعجاز القرآني؛ بدءاً بالصوت اللغوي، ومروراً بالكلمة المفردة، وأنتهاءً بالجملة والتركيب برُمَّته.. ومن هنا؛ فقد أقتضتْ طبيعةُ البحث ومنهجيتُه أن يقوم على خمسة مباحث، تناول الأوَّل منها جانباً من البُعد الصَّوتيِّ لبعض الألفاظ العربية والقرآنية وما أحدثه من آثارٍ معنوية.. في حين جاء المبحث الثاني بعنوان: «تحليل البِنَى الصرفية لطائفةٍ من الألفاظ العربية والقرآنية وتفكيكها، وأثر ذلك في تجميع التركيبة الصَّوتية وأستيحاء دلالتها».. وعقدتُ المبحثَ الثالثَ لاستعراض بعض التلوينات الصَّوتية وموسيقى الألفاظ المفردة ورَجْع أصدائها على رَسْم الأحداث وتصوير المشاهد.. في حين ضربتُ في المبحث الرابع نماذج مُنتقاة لطائفةٍ من الأحرف المُجرَّدة والمقاطع الصَّوتية وما تبعثه في النفس من إيحاءٍ عميق، وعرَّجتُ في المبحث الخامس والأخير على بعض المظاهر الصَّوتية وأثرها في البيان اللغويِّ والقرآنيِّ، وجاءتْ عَقِبَ ذلك خاتمةُ البحث لتكتنفَ أهمَّ النتائج التي توصَّلتُ إليها، يتلوها ثبتٌ بأهمَّ المصادر والمراجع التي أفدتُ منها في إثراء المادَّة العلمية للبحث.

Abstract

The research dealt with an important task of the manifestations and colorful illustrations and showed the impact of the Arabic statement and the Quranic miracles starting with the voice of language ،Through the single word ،The wholesale and the whole installation ،and from here .. The nature of the research and its methodology required that the research would be based on five questions ،The first is about the aspect of the vocal dimension of some of the Arabic and Quranic words and the consequent moral effects.. While the second topic is titled: ((Analyzing and deconstructing the morphological structures of a range of Arabic and Qur'anic utterances ،And the effect of this in the compilation of the sound structure and its significance)).. The third section was held to review some of the vocal and individual vocalizations, and their reverberations were based on the drawing of events and scenes.. While in the fourth section a selected pattern of a range of abstract characters was struck And the soundtrack and what it sends in the abyss of deep inspiration ،And i spoke in the fifth section and the delay of some of the vocal manifestations and impact in the linguistic and Qur'anic statement, Then came the conclusion of the research to summarize the most important findings ،The following is a list of the sources and references to which I have benefited in enriching the scientific material for research.

المقدمة

الحمد لله، والصَّلاة والسلام على نبيِّنا مُحمَّد رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد..

فممَّا هو مُسلَّمٌ به أنَّ كلَّ ما يجري في هذا الكون إنما يكون على وفق ما تقتضيه حكمة الباري ﷻ، وهو أعلم بحكمته، ومن مكامن تلك الحكمة البالغة أن ٱتخذ الإسلامُ العربيةَ لساناً له، فإذا كان الإيمان به هداية ونوراً؛ كان الإسلامُ من ذلك النور طبيعته وحقيقته، وكانت العربيةُ منه المَظْهَرَ الذي تراه العيون، والصَّوت الذي تسمعه الآذان، والمَسْرَبَ الذي يسلك به إلى القلوب والأذهان..

وإذا كان لزاماً علينا أن نبحث في سرِّ هذا الاختيار الحكيم؛ فإننا نستطيع أنْ نتلمَّس أهمَّ الأسباب الظاهرة التي تُبيِّن الحكمةَ في ٱختيار لغة العرب لغةً للشريعة الإسلامية الغرَّاء العامة الشاملة، ولعلَّ من أبرز مكامن تلك الحكمة: تفرُّدها بجملة من الخصائص النفيسة التي شرفتْ بها، وعلا شأنها، وبلغتْ من السُّموق شأواً لا تدانيها فيه أية لُغةٍ أخرى؛ من تلك الخصائص: ما ٱمتازت به من جوانب وتلوينات صوتية فريدة..

لقد تعدَّدت وجوه إعجاز هذا الكتاب الكريم الذي لا تنقضي عجائبه ولا يَخْلَق على كثرة الردِّ، مثلما تعدَّدت هداياته التي لا تنضُب.. وشكَّلت «**المظاهر الصوتية**» لوناً بهياً من ألوان ذلك الإعجاز الأزلي، كما كانتْ - وستبقى - رافداً مدراراً وعيناً نضَّاخة ومصدراً رئيساً من مصادر الفهم القرآنيِّ والدَّرس اللغويِّ على حدٍّ سواء، وتبوأتْ من بين أخدانها من الظواهر والعلوم العديدة الأخرى مكاناً سامقاً ومكانة علية..

فـ«**التلوينات الصوتية**» واحدة من أسخى منابع العطاء الثَّرِّ لتلك اللغة، ودراستي هذه ستسلِّط الضوء ساطعاً على ما لتلك الظاهرة الخلَّاقة من طاقةٍ وٱقتدارٍ على رفد مفردات اللغة الكريمة والقرآن المجيد بفيضٍ سخيٍّ من المعاني المكنونة..

ولِمَا تُمثِّله تلك المظاهر والتلوينات - بما ٱتخذتْه من أنماطٍ مُتعدِّدة: بدءاً بالصوت اللغوي، ومروراً بالكلمة المفردة، وٱنتهاءً بالجملة والتركيب برُمَّته - من أهميةٍ بالغةٍ أسهمتْ إسهاماً فاعلاً في دفع عجلة علوم اللغة والتفسير على حدٍّ سواءٍ قُدُماً خطواتٍ حثيثةً إلى الأمام؛ فلا غرو أن ينبريَ لها علماء الأمة، وأن يُشمِّروا عن سواعدهم تحديداً لملامحها، وبحثاً لقواعدها،

ودراسةً لعلومها، وتبويباً لشواردها، وٱستقصاءً لشواهدها.. وهي - زيادةً على ما تقدَّم - ظاهرةٌ نجدُ مسائلها وقضاياها مُتداولةً ومُتأرجحةً بين كلٍّ من علماء اللغة وأئمة التفسير قدمائهم ومُحدَثيهم على حدٍّ سواء، ونُلفي دلائلها مبثوثة هنا وهناك في أنحاء شتَّى من أبحاثهم وكتاباتهم؛ فاستمسك كلٌّ من الفريقين منها بطرفٍ وثيق، وتوسَّط الجَمْعين علماءُ التجويد من المعنيِّين ببيان أحكام الكتاب العزيز وحِكَمه المُتعلِّقة بهذا الجانب الجليل..

وأراني وسط تلك المراسيم المهيبة التي أقامها علماؤنا الأفذاذ وأساتذتنا الأجِلَّاء لهذا العلم البهيِّ مُحوَجاً لأنْ أدلوَ دلوي؛ لأستخرج ما تسنَّى لي وتيسَّر من معين هذا العلم المخزون، وبيان أثره البالغ في علم اللغة العربية في ضوء ما جادتْ به آيات الذكر الحكيم من منابع رقراقة وروافد دفَّاقة لا تعرف للتقعيد عدَّاً ولا للحدِّ حدَّاً..

ومن هنا؛ فقد ٱقتضتْ طبيعةُ هذا البحث ومنهجيته أن يقوم على خمسة مباحث، تناول الأوَّل منها جانباً للبُعد الصَّوتيِّ لبعض الألفاظ العربية والقرآنية وما أحدثه من آثارٍ معنوية.. في حين جاء المبحث الثاني بعنوان: «تحليل البِنَى الصرفية لطائفةٍ من الألفاظ العربية والقرآنية وتفكيكها وأثر ذلك في تجميع التركيبة الصَّوتية وٱستيحاء دلالتها».. وعقدتُ المبحثَ الثالثَ لأستعرضَ فيه بعضَ التلوينات الصَّوتية وموسيقى الألفاظ المفردة ورَجْع أصدائها على رَسْم الأحداث وتصوير المشاهد.. في حين ضربتُ في المبحث الرابع نماذج مُختارة لطائفةٍ من الأحرف المُجرَّدة والمقاطع الصَّوتية وما تبعثه في النفس من إيحاءٍ عميق، وعرَّجتُ في المبحث الخامس والأخير على بعض المظاهر الصَّوتية وأثرها في البيان اللغويِّ والقرآنيِّ، وجاءتْ عَقِبَ ذلك خاتمةُ البحث لتكتنفَ أهمَّ النتائج التي توصَّلتُ إليها، يتلوها ثبتٌ بأهمَّ المصادر والمراجع التي أفدتُ منها في إثراء المادَّة العلمية للبحث.. فأقولُ وبالله التوفيق وعليه التُّكْلان:

المبحث الأول

البُعد الصوتي لبعض الألفاظ العربية والقرآنية وما أحدثه من آثار معنوية

لا بدَّ لنا – في البدء – من معرفة أنَّ للرموز أهميةً بالغةً في حياة البشر، واللغة إحدى هذه الرُّموز؛ ذلك أنَّ وسائل الاستدلال في الوجود كثيرة؛ فقد تكون إشاراتٍ، أو علاماتٍ، أو رموزاً مخطوطة، أو صوراً مرسومة، وقد تكون تغيُّراتٍ تطرأ على شكل الإنسان ولونه ونبرة صوته ومستوى تلك النبرة ٱرتفاعاً وٱنخفاضاً؛ فتدلُّ على حالته النفسية والانفعالية.. واللغة أهمُّ هذه الدوالِّ وأكثرها إيحاءً..

وقد منَّ الله ﷻ على بني الإنسان وكرَّمهم بنعمة القدرة على إنتاج وحداتٍ صوتية دالَّة وموحية، يُعبِّرون بها عن أغراضهم وحاجاتهم، فسَمَوْا بهذه القدرة على مخلوقات الكون كافة.. فاللغة الإنسانية هي: ((أصواتٌ يُعبِّر بها كلُّ قوم عن أغراضهم))[١]؛ ولكنها ليستْ أصواتاً مفردة متناثرة؛ بلْ هي أصواتٌ مُركَّبة دالَّة؛ لأنَّ الصَّوت المفرد مُبهمٌ لا يُؤدِّي وظيفة إبلاغية إلا بائتلافه مع أصوات أُخر، وتكوين مجموعات صوتية دالَّة؛ هي الكلماتُ التي ينشأ منها الكلام[٢]..

وكذا فإنَّ ((الحروف الهجائية إليها تُحلَّل الكلماتُ اللغوية، فما من لغة في الأرض إلا وأرجعها أهلُها إلى حروفها الأصلية، سواءٌ أكانت اللغة العربية أم اللغات الأعجمية، شرقية وغربية؛ فلا صَرْفَ، ولا إملاء، ولا ٱشتقاق.. إلا بتحليل الكلمات إلى حروفها، ولا سبيل لتعليم لغة وفهمها إلا بتحليلها، وهذا هو القانون المسنون في سائر العلوم والفنون))[٣]..

و((العربية – من بين سائر اللغات الإنسانية – لغةٌ كاملةٌ، مُحبَّبةٌ، عجيبةٌ، تكاد تُصوِّر ألفاظُها مشاهدَ الطبيعة، وتُمثِّل كلماتُها خطراتِ النفوس، وتكاد تتجلَّى معانيها في أجراس الألفاظ، كأنما كلماتِها خطواتُ الضمير ونبضاتُ القلوب ونبراتُ الحياة... وللأصوات (phonetics, Phonology) في اللغة العربية وظائفُ بيانية وقيم تعبيرية؛ فالغين – مثلاً – تفيد معنى الاستتار والغيبة والخفاء؛ كما نلاحظ في: «**غ ا ب**، و«**غ ا ر**»، و«**غ ا ص**»، و«**غ ا ل**»، و«**غ ا م**»... الخ[٤].. والجيم تفيدُ معنى الجمع؛ كما نلاحظ في: و«**ج م ع**»، و«**ج م ل**»، و«**ج م د**»، و«**ج م ر**»... وهكذا))[٥]..

هذا، وتفيدُ الفاءُ معاني الحفر والشَّقِّ والفصل والقطع؛ كما في الموادِّ: «**ف أ س**»، و«**ف أ ى**»، و«**ف أ ر**»، و«**ف ث غ**»، و«**ف د غ**»، و«**ف ر خ**»، و«**ف ط م**»، و«**ف ق ر**»، و«**ف ل ح**»، و«**ف ل ع**»، و«**ف ل ق**».. أو تفيد معاني الانفراج والتوسع والتنحية والتباعد؛ كما في المواد: «**ف ت ح**»، و«**ف ج أ**»، و«**ف ر ت**»، و«**ف ر ث**»، و«**ف ر ج**»، و«**ف ر ح**»، و«**ف ر د**»، و«**ف ر ز**»، و«**ف ر س**»، و«**ف ر ش خ**»، و«**ف ر ص**»، و«**ف ر ض**»، و«**ف ر ط**»، و«**ف ر ع**»، و«**ف ر غ**»، و«**ف ر ق**»، و«**ف ر ك**»، و«**ف ر م**»، و«**ف ر هـ**»، و«**ف ر ي**»، و«**ف س ح**»، و«**ف س ق**»، و«**ف غ ر**»، و«**ف ق ص**»، و«**ف ل ك**»، و«**ف م م**».. أو تفيد معاني البعثرة والتشتُّت والتفرُّق والانتشار؛ كما في المواد: «**ف ا ج**»، و«**ف و ح**»، و«**ف ا ع**»، و«**ف ر ش**»، و«**ف ش غ**»، و«**ف ش ل**»، و«**ف ش ى**»[٦]..

كما تفيدُ الحاءُ معاني الإحاطة والشمول والضَّمِّ والاحتواء؛ كما في الموادِّ: «**ح ا ز**»، و«**ح ا ط**»، و«**ح ا ق**»، و«**ح ا م**»، و«**ح ب س**»، و«**ح ج ر**»، و«**ح ج ز**»، و«**ح د ق**»، و«**ح ص ر**»، و«**ح ض ن**»، و«**ح ظ ر**»، و«**ح ف ل**»، و«**ح م ى**»، و«**ح و ى**»... الخ[٧].. ((ومن ٱختلاف تركيبات المقاطع الصَّوتية حدثت الدلائل الكلامية والعبارات اللغوية))[٨]..

وكذا، فإنَّ معاني ((... الرِّقَّة والليونة والملمس الدافئ الوثير في صوت الثاء، والخشونة والحرارة والفعَّالية في صوت الذال.. وهكذا؛ فإنَّ تقارب الحروف في مخارجها لا يمنحها تقارباً مُماثلاً في إيحاءاتها الصَّوتية، ولا في معانيها؛ فالحرف الشقيق إذا حلَّ محلَّ شقيقه في لفظة ما؛ لا تظلُّ اللفظة على معنىً مُقاربٍ لمعناها قبل الإبدال؛ وإنما قد يُؤدِّي ذلك إلى التناقض في معانيهما أحياناً كثيرة؛ كما في حرفي الثاء والذال، وأحرف الخاء والحاء، والباء والميم، والصَّاد والسِّين..

... فـ«**الثاء**» إنما هي تأنيثٌ للسِّين الرقيقة، وتأنيثٌ لتاء التأنيث؛ وكأني بالعربي لم يُبدعْ صوتَ هذا الحرف إلا خصِّيصاً للأنثى؛ ليُميِّزها بالثاء حتى من النساء أنفسهن؛ إيفاءً لحقِّها من الرِّقَّة والدماثة والإحاطة واللِّين، فما كلُّ ٱمرأة تتوافر فيها خصائصُ الأنوثة وإنْ كانتْ أنثى!! فلفظة «**الأنثى**» إنما هي ألصقُ بالجنس من لفظة «**المرأة**»، قد قصرتْ أنوثة الأشياء والكائنات الحية عن أنوثة الجنس في حرف الثاء؛ فأُنِّثتْ بتاء التأنيث؛ لتفيض الثاء عليها من خلف هذا الحجاب الشفاف طيف رقَّةٍ وعاطفة وأنوثة، وتوحي بالبضاضة[٩] والطراوة

والدِّفء؛ وبذا تستقلُّ الثاء وحدها بعرش الأنوثة في لفظة الأنثى؛ ضماً للنون الأنيسة إلى الثاء الأنثوية، لا أمسَّ بالنفس حسَّاً، ولا أوقع في السمع جرساً..

... ولأنَّ حرف الثاء يُمثِّل جنس الأنوثة كإحساسٍ لمسيٍّ، فضلاً عن أنَّ صوت الثاء هو أوحى ما يكون بخصائص الأنوثة رقَّة ولطفاً ودفئاً؛ فإنَّ العربي قد ٱستخدم هذا الحرفَ لإبداع أخصِّ المعاني التي تدور حول الجنس مباشرة بلا وسيطٍ من خيال أو تورية أو كناية، ممَّا لم يُجارِهِ في هذا الاختصاص أيُّ حرفٍ آخر؛ وذلك كما في لفظة «**الأنثى**» كتعبيرٍ عن جنس الأنوثة، وكما في لفظة «**الرفث**» كتعبير عن الاستمتاع بالأنثى[١٠]..

... وإذا كانتْ خصائصُ الأنوثة قد تجمَّعتْ كلُّها في «**الثاء**»: رقَّة ودماثة وحشمة؛ فقد تركَّزتْ في «**الذال**» كلُّ الذُّكورة: توتُّر صوتٍ، وخشونة ملمس، وشدَّة ظهور!! وهكذا تتجاور الذكورة والأنوثة في اللسان العربيِّ مخرَجَ صوتٍ، ويتماثلان في طريقة النطق بهما على ما في صوتيهما من التناقض في الخصائص، وذلك على مثال ما بين الذكورة والأنوثة: رفقة عُمرٍ، وتناقضُ خصائص..

فإذا كانت «**الثاء**» تُدغدغُ طرف اللسان بكثيرٍ من المُرُونة والدَّماثة؛ فتُوحي بطعم الدَّسَم والملمس الدافئ الوثير؛ فإنَّ الذال ألذعُ مذاقاً، وأكوى حرارة، وأوخذ ملمساً، وأشدُّ توتراً؛ ليشفَّ بذلك صوتُ كلِّ حرفٍ منهما عن خصائص الجنس الذي يُمثلّه.. وهكذا تتراءى مفاهيمُ الجنس في الذكورة والأنوثة كأحاسيس لمسية خلف أستار شفافة من صوتيْ هذين الحرفين، ولا أوحى منهما بخصائص الأنوثة والذكورة في لغتنا!!))[١١]..

ذلك أنَّ ((النُّقَّاد... لا يبنون ٱنطباعهم الجماليَّ على الصُّورة الصَّوتية للكلمة بمعزلٍ عمَّا توحيه من دلالة بديعة؛ بلْ ينظرون إلى ٱشتراك اللفظ والمعنى معاً في إحداث صورةٍ دلالية))[١٢].. ومن هنا ((كان لظاهرة إيحاء الألفاظ بأكثر من دلالتها الظاهرة حُضُورٌ فاعل في النَّصِّ القرآنيِّ وفي القصَّة القرآنية، شكَّلتْ هذه الظاهرة قيمة فنِّيَّة تُشركُ المُتلقِّي في تمثُّل الثراء المعنويِّ للَّفظ))[١٣]..

وممَّا يثيرُ الانتباه أنَّ لفظة «**الدِّماغ**»؛ بمعنى: حشو الرأس من أعصاب ونحوها، قد جاءتْ من مادَّة «**د م غ**»؛ بمعنى: الغلبة والمحو[١٤].. إنَّ العربي قد عمد إلى تصوير الدِّماغ بأصوات الحروف؛ فالدَّال للقساوة، وهي تُضاهي قساوة عظم الجُمجُمة، والميم تُضاهي ٱنجماع

الأعصاب في غلافه داخلها، والغين تُضاهي واقعة خفاء هذه المجموعة العصبية وتواريها عن النظر داخل الجمجمة!!

وهكذا توافقتْ معاني أسرة اللفظة ومقاطعُها الصَّوتية وإيحاءاتُ حروفها في تمثيل معنى الدَّمغ ومُحاكاته؛ من القوَّة والصلابة والانجماع والستر[١٥]!!

وما قيل عن «**الفاء**»، و«**الحاء**»، و«**الثاء**»، و«**الدال**»، و«**الذال**»، و«**الغين**»، و«**الميم**» يقال أيضاً عن باقي حروف اللغة الثمانية والعشرين في وجود إيحاءات ودلالات وخصائص ينفرد بها كلُّ حرف عن أخدانه حيناً، ويشترك معها في بعضها أحياناً.. وينسحب الحال بديهياً وتلقائياً على عامة الألفاظ والتراكيب المتألفة من تلك الحروف والناتجة عنها..

وفي جملة تلك الأمثلة وأمثالها، يقول ٱبن جنِّي رحمه الله: ((فهذا ونحوُهُ أمرٌ إذا أنت أتيته من بابه، وأصلحت فكرك لتناوله وتأمله؛ أعطاك مقادته، وأركبك ذِرْوته، وجلا عليك بهجاته ومحاسنه، وإن أنت تناكرته، وقلت: هذا أمرٌ منتشر، ومذهبٌ صعبٌ موعرٌ؛ حرمت نفسك لذَّته، وسددت عليها باب الحظوة به..

نعم، ومن وراء هذا ما اللُّطفُ فيه أظهرُ، والحكمة أعلى وأصنعُ؛ وذلك أنهم قد يُضيفون إلى ٱختيار الحروف، وتشبيه أصواتها بالأحداث المُعبَّر عنها بها: ترتيبَها، وتقديمَ ما يُضاهي أول الحدث، وتأخير ما يُضاهي آخره، وتوسيط ما يُضاهي أوسطه؛ سوقاً للحروف على سَمْت المعنى المقصود والغرض المطلوب؛ وذلك نحو قولهم: «**بحث**»؛ فالباء لغلظها تشبه بصوتها خفقة الكف على الأرض، والحاء لصَحَلها[١٦] تشبه مخالبَ الأسد وبراثن الذئب ونحوهما إذا غارت في الأرض، والثاء للنفث والبث للتراب.. وهذا أمرٌ تراه محسوساً مُحصَّلاً.. فأيُّ شبهة تبقى بعده، أم أيُّ شك يعرض على مثله؟!!))[١٧]..

ومن خلال ما ٱستعرضناه من الأمثلة، يمكننا الاطمئنانُ إلى حقيقةٍ ملموسة، تعمل من خلالها إيحاءاتُ الحروف وخصائصُها ومعانيها دائبةً على ربط البنية الصَّوتية واللسانية برباطٍ محكم، وبيان علاقتها بالبنية المعنوية والدلالية؛ فإنَّ طبيعة الدلالة وهيئتها وماهيتها تعتمد – إلى حدٍّ بعيد – على التحليل الصَّوتيِّ اللِّسانيِّ لبنية الكلمة، أو الجملة، أو النَّصِّ؛ لأنَّ تلك الأشياء تُمثِّل مدارَ الأمر كلِّه ومناطه في منظومة الاتصال والتفاهم وعملية الإبلاغ..

لذا عُدَّت دراسةُ الأصوات أوَّل ما ينبغي أن ((يُعنى به دارسُ اللغة إذا ما أراد أن يدرس لغةً ما دراسة علمية صحيحة.. ودراسةُ الأصوات تُتيحُ للدارس أن يقف على طبائع هذه الأصوات وخصائصها حين تتمازج في صور كلمات، ولنْ يُستغنى عنها؛ لأنها تُفسِّر كثيراً من الظواهر اللغوية التي لولا هذه الدراسة؛ لكان الكلامُ فيها نوعاً من الافتراض لا يقف طويلاً أمام البحث العلمي!!

فالدارسُ الذي يُحاولُ أن يقف على أسرار اللغة ونظمها وظواهرها ستكون مُحاولاته عبثاً إن هو ٱقتصر في دراسته على ما وصل إليه من مُفردات!! فلا بدَّ أن يرجع بالبحث إلى الوراء ليدرس الأصول التي تتكوَّن منها الكلماتُ، ويتعرَّف خصائصَها وما ينبني عليها من ظواهر.. وليستْ تلك الأصول التي تتألف منها الكلماتُ إلا الأصوات اللغوية التي يُعبَّر عنها بـ«**حروف الهجاء**»..

... فإذا ما ٱنتهى الدارسُ من معرفة الأصوات والوقوف على خصائصها مُتمازجة مُتآلفة؛ ٱنتقل إلى الخطوة الطبيعية التالية؛ وهي دراسة الكلمات؛ فإنَّ ما ينشأ من تمازج الأصوات له دخلٌ كبير في صنع الكلمات والمفردات وأوزانها وتحديد مدلولاتها))[١٨]، وسيقود ذلك بالتالي إلى فهم البِنَى الجُملية والنَّصِّيَّة برُمَّتها..

بتلك الدراسة المُعمَّقة والمتأنية والتمحيص المُتَّئد للخصائص الصَّوتية لحروف العربية، وٱستعراض معانيها وٱستيحاء دلالاتها يُمكنُنا إعادةُ ترسيم الحدود، وحصر المُفارقات الدَّلالية القائمة على أساس سبرٍ عميق لأبنية الألفاظ المُختلفة المُؤلَّفة من مجموع أصوات تلك اللغة وٱئتلافها؛ لاستكناه حقيقة أبعادها الدلالية؛ إذ إنَّ الوصول إلى حصر سماتٍ تمييزية مُحدَّدة بين حرفٍ وآخر من حروف اللغة يشي بوُجُود ثمَّة إمكانيةٍ منهجية لإرساء قواعد علمية تغدو مقاييس ثابتة، ومعايير مُطَّردة، ونماذج متكاملة، وقوالب منتظمة لضبط آليات الأحداث الكلامية من خلال الوقوف على ما يُشكِّل أنساقها الصَّوتية العامَّة التي في وُسعها أن تنتظم العناصرَ الأخرى في الخطاب الإبلاغيِّ العام[١٩]؛ إذ لا يعدو العمل الأدبيُّ كونه وسيلةَ توصيلٍ رمزيةً، تثير معنىً ما من خلال التركيب الصَّوتيِّ للكلمة، والصَّوتُ هو وسيط الدلالة، وهو القناة الحاملة للمعنى في عملية التواصل والإبلاغ[٢٠]..

إنْ دلَّ ذلك على شيء؛ فإنما يدلُّ على وُجُود مُناسبة طبيعية بين اللفظ ومدلوله؛ فالألفاظ لم تنفصلْ عن دلالاتها الصَّوتية في كثير من الأحيان، كما لم تتخلَّ عن المعاني الدَّالَّة عليها في شتى الوُجُوه المُرتبطة بها عند الإطلاق.. وهذا يعني أنَّ الألفاظ تكتسب دلالتها من جرس أصواتها؛ فينشأ ما يُسمَّى بـ«**المناسبة الطبيعية**» بين الأصوات والدلالات[٢١].. كما يعني أنَّ ((معنى الحرف العربي هو صدى صوته في الوجدان، أو النفس))[٢٢]..

وكان أبو الفتح ٱبن جنِّي رحمه الله أبلغَ من عبَّر عن هذه النظرية اللغوية الفطرية بمقولته الشهيرة: ((إنهم قد يُضيفون إلى ٱختيار الحروف وتشبيه أصواتها بالأحداث المُعبَّر عنها بها: ترتيبها، وتقديم ما يُضاهي أول الحدث، وتأخير ما يُضاهي آخره، وتوسيط ما يُضاهي أوسطه؛ سوقاً للحروف على سَمْت المعنى المقصود والغرض المطلوب))[٢٣]؛ بمعنى أنَّ العربيَّ كان يضع الحرف الأول بما يُضاهي بداية الحديث، والحرف الوسط بما يُضاهي وسطه، والأخير بما يُضاهي نهايته؛ فكان العربيُّ بذلك يُصوِّر الأحداث والأشياء والحالات بأصوات حروفه..

وبعبارةٍ أخرى؛ فإنَّ معنى كلِّ لفظة هو - في الأغلب - مُحصِّلة خصائص أصوات الحروف؛ أي معانيها.. ومن قوانين اللغة العربية أنَّ الحرف القويَّ يضعف تأثيره في معاني المصادر عندما يقع في نهايتها؛ لتسلُّط الحروف التي تقع في مُقدِّمتها!! إنه لأمرٌ عجيب أن يكون لذلك العربيِّ الضارب في مجاهل الأرض والتاريخ هذه الحسَّاسية السمعية والذوقية في التمييز بين مُوحيات صوت الحرف الواحد تبعاً لموقعه من اللفظة بمعرض التعبير عن معانيه[٢٤]!!

ويُؤيِّد ذلك ما ذهب إليه الأستاذ مصطفى صادق الرافعي رحمه الله من أنَّ ((في الكلمة العربية مُوسيقى باطنية عفوية بلا تصنُّع، قوامها التوافُقُ الفطريُّ بين خصائص أحرفها وبين ما تدلُّ عليه من المعاني إيحاءً، أو إيماءً... فما أن تُنشَدَ الكلمة في الشعر العربي الأصيل، أو تُرتَّل في القرآن الكريم؛ حتى نجد أنَّ خصائص الحروف ومعانيها هي التي تتحكم بمُوسيقاها طواعية ذوقٍ أدبيٍّ رفيع بلا قسر ولا تصنُّع))[٢٥]!! ((ولا غرو؛ فالشعراء هم الذين موسقوا الكلمة العربية طوال مراحل نشأتها بإنشادها في أهازيجهم وقصائدهم؛ فشحنوا أحرفها بشتَّى الأحاسيس والانفعالات؛ لتتحوَّل بذلك إلى تفعيلةٍ مُموسقةٍ جاهزة للدخول في شتَّى الأوزان، ومهيأة للتداول في شتَّى القوافي؛ للتعبير عن شتَّى المعاني بلا موسقة مُصطنعة))[٢٦]!!

فبعد أن ٱهتدى العربيُّ إلى أصوات حروفه ومعانيها؛ بقي على فطرته البدوية يتقمَّص الأشياء والأحداث؛ لاستشفاف خصائصها الذاتية.. وهكذا أخذ - شيئاً فشيئاً - ينتقي الحروف التي تتلاءم إيحاءاتُها الصَّوتيةُ مع تلك الخصائص؛ ولكنْ على وفق ترتيبٍ مُعيَّن يُماثل تراكيب الأشياء، أو يُوافق حركاتها الإيمائية، ويُحاكيها برقصاتٍ صوتية بارعة لا تُوحي بمعناها الأصيل فحَسْبُ؛ وإنما تُجسِّده أيضاً بما لا يقدر عليه راقصٌ ولا مُمثِّل أو فنَّان[٢٧]!!

وهذا ما عناه عملاقُ العربية وعلم الأصوات: أبو الفتح ٱبن جنِّي رحمه الله حين طفق يشرح لنا قاعدته الذهبية: «**تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني**»[٢٨]؛ أي: تقارب الأصوات لتقارب المعاني.. فالعربيُّ بعد أن ينتقيَ الحروفَ التي تتوافق أصواتها مع ما يرومُ التَّعبيرَ عنه؛ يقوم بترتيبها في اللفظة على أساس أن يُقدِّم الحرفَ الذي يُماثل أوَّل الحدث، ويضعُ في وسطها ما يُماثل وسطه، ويُؤخِّر ما يُماثل نهايته؛ وذلك ((سوقاً للحروف على سَمْت المعنى المقصود والغرض المطلوب))[٢٩]!! على أنَّ الحرف القويَّ يأخذ صوته أقصى إيحاءاته في القوَّة والشِّدَّة والفعَّالية والغلظة حينما يقع في أوَّل اللفظة؛ إذ لا بدَّ للصَّوت أن يشدَّ على أيِّ حرف يقع في أوَّلها أكثر ممَّا يشدُّ عليه في وسطها، ليشدَّ عليه أقلَّ ما يكون الشَّدُّ في نهايتها.. وهكذا؛ فإنَّ الحروف ذات الأصوات الرَّقيقة لا بدَّ أن تكون أكثر إيحاءً بالرِّقَّة والأناقة والدماثة وما إليها عندما تقع في نهاية الألفاظ؛ فأصواتها تكون هنا أكثر خفوتاً ورقَّة منها في أيِّ موقع آخر؛ ولهذا السبب بالذات لا بدَّ أن يختلف تأثيرُ الحرف الواحد - رقيقاً كان أم قوياً - في معاني الألفاظ بحسب موقعه من اللفظة[٣٠]!!

وإذا كان العربيُّ الفنَّان قد لجأ فعلاً إلى تقمُّص أشياء العالم الخارجيِّ وظواهره وأحداثه للاهتداء إلى أصوات حروفه ومعانيها بوسيطٍ من مشاعره؛ فلا بدَّ لنا نحن أن نهتدي - بالمقابل - إلى معاني تلك الحروف من خلال تأمُّل صدى أصواتها في مشاعرنا؛ شريطة أن يتمتع ذلك العربيُّ بأصالةٍ فنية إبداعية، وأن نتمتع نحن بأصالةٍ فنية تذوُّقية مُوازية.. ومُعجماتُ اللغة العربية هي الفرقان والفيصل والحكم العدل في هذه القضية، وأخصُّ بالذكر والتنويه منها معجم «**مقاييس اللغة**»، لفارس اللغة العربية وجُدَيْلُها المُحكَّك وعُدَيْقُها المُرجَّب أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني رحمه الله؛ إذ كان ذا عملٍ لا يُبارى، وصاحبَ ٱبتكارٍ لا يُجارى، وكان ذا فضلٍ لا يتوارى في هذا الباب الجليل[٣١]..

هذا، ويعدُّ الصَّوتُ اللغويُّ والكلمة وحدتين أساسيتين في تكوين الكلام؛ إذ تتكوَّن اللغة – أية لغة – من وحدات أساسية؛ هي «**الكلمات**»، وهذه الأخيرة تُؤلِّفها عناصر أصغر منها، تسمَّى: «**الأصوات**»، التي يأتلف بعضها ببعض ويتواشج في نسيجٍ كلاميٍّ مُعبِّر عمَّا يدور في خَلَد المُتكلِّم من أفكار ومعان.. فاللغة ظاهرة صوتية، الأصلُ فيها أنها نظامٌ من الرُّموز الصَّوتية المنطوقة، وهي – بناءً على ما تقدَّم – ((أصواتٌ في حروفٍ، وحروفٌ في كلماتٍ، وكلماتٌ في جُملٍ، وجملٌ في نحوٍ، ونحوٌ في بيانٍ، والبيانُ وحدة لا تتجزأ))[٣٢]..

وعلى ما يبدو لأوَّل وهلة من كثرتها؛ لِمَا لها من مُرُونةٍ فائقة وقابليات خلَّاقة على التقليب أثناء عملية النطق والكتابة؛ فإنَّ ((الرُّموز الصَّوتية – الحروف – التي يتعامل بها أبناءُ الجماعة اللغوية الواحدة محدودة؛ فأكثر اللغات تتعامل كلٌّ منها بحوالي ثلاثين رمزاً صوتياً، وتتعامل كلُّ اللغات الإنسانية مُجتمعةً بما لا يزيد على خمسين رمزاً صوتياً، لكلِّ لغة منها نصيبٌ.. ولكنَّ هذه الرُّموز المحدودة تُعبِّر في كلِّ لغة من هذه اللغات الكثيرة عن أكثر ما يُريدُ الإنسانُ التَّعبيرَ عنه في كلِّ مجالات الحياة والفكر.. إنها ثلاثون رمزاً تقريباً في كلِّ لغة من اللغات تُكوِّن آلاف الكلمات، ثمَّ ملايين الجُمل؛ لنقل ملايين الملايين – آلاف المليارات – من المعاني وظلال المعاني.. وتُكوِّن هذه الرُّموز الصَّوتية المحدودة بنية اللغة باتخاذها عدَّة أنساق مُحدَّدة..

لقد عُرِفتْ فكرة الارتباط بين اللفظ ومعناه، أو بين الصَّوت ومدلوله قديماً بين أوساط اللغويين القدماء؛ أمثال الخليل بن أحمد (ت١٧٠هـ) الذي تنبَّه إلى وُجُود علاقة بين الصَّوت ودلالته حين عرض إلى بيان صوت الجُندَب؛ إذ يقول رحمه الله: ((صرَّ الجُندَبُ صريراً، وصرصر الأخطب صرصرة؛ فكأنهم توهَّموا في صوت الجُندَب مدًّا، وتوهموا في صوت الأخطب ترجيعاً، ونحوُ ذلك كثيرٌ مختلف))[٣٣]؛ وبذا يُقرِّر رحمه الله في نظريته الصَّوتية الرائدة والسَّبَّاقة بأنَّ الألفاظ المُعبِّرة عن أصوات مسموعات إنما هي أصواتٌ مُحاكية للطبيعة[٣٤]..

كما ألمح سيبويه (ت١٨٠هـ) – عبر الأمثلة التي ضربها لنا في «**كتابه**» – إلى التناسب بين الأصوات ومدلولاتها؛ وذلك في معرض حديثه عن أوزان المصادر في بحوثه النحوية والصرفية؛ إذ يقول رحمه الله: ((ومن المصادر التي جاءتْ على مثالٍ واحد حين تقاربت المعاني:

قولك: النزوان، والنقزان[٣٥]، وإنما هذه الأشياء في زعزعة البدن وٱهتزازه في ٱرتفاع... ومثل هذا: الغليان؛ لأنه زعزعة وتحرُّك.. ومثله الغثيان؛ لأنه تجيش نفسه وتثور))[٣٦]..

وقد تبع كُلًّاً من الخليل وسيبويه فيما ذهبا إليه وقرَّراه مُعظمُ اللغويين القدماء؛ ولا سيَّما ٱبن جنِّي رحمه الله (ت٣٩٢هـ) الذي عقد باباً لذلك في كتابه الكبير: «**الخصائص**»، سمَّاه: «**باب في إمساس الألفاظ أشباه المعاني**»[٣٧]، وذكر في موضع آخر هذه السمة الدلالية لطبيعة الأصوات، يقول: ((وإنما جُعلت الألفاظ أدلة على إثبات معانيها))[٣٨].. وقد توسَّع في هذا الجانب؛ لمعرفته الواسعة، وإلمامه الفريد بسعة المباحث الصَّوتية، وإدراكه لأهميتها في الاهتداء إلى كُنه مدلولات ألفاظ اللغة العربية؛ إذ يقول: ((فأما مقابلة الألفاظ بما يُشاكِلُ أصواتها من الأحداث؛ فبابٌ عظيم واسع، ونهج مُتلَئِبٌ[٣٩] عند عارفيه مأموم؛ وذلك أنهم كثيراً ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المُعبَّر بها عنها؛ فيعدلونها بها ويحتذون عليها.. وذلك أكثر مما نُقدِّره، وأضعاف ما نستشعره!!

من ذلك: قولهم: «**خضم**»، و«**قضم**».. فـ«**الخضم**» لأكل الرطب؛ كالبطيخ والقثاء وما كان نحوهما من المأكول الرطب[٤٠]، و«**القضم**» للصلب اليابس؛ نحو: قضمت الدابة شعيرها، ونحو ذلك[٤١].. فاختاروا الخاء - لرخاوتها - للرطب، والقاف - لصلابتها - لليابس، حذواً لمسموع الأصوات على محسوس الأحداث.. ومن ذلك قولهم: «**النضح**» للماء ونحوه[٤٢]، و«**النضخ**» أقوى من «**النضح**»[٤٣]، قال الله ﷻ: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾﴾ [سُورَةُ الرَّحْمَٰنِ]؛ فجعلوا الحاء - لرقتها - للماء الضعيف، والخاء - لغلظها - لما هو أقوى منه!!))[٤٤]..

ولما كان أبو الحُسين أحمد بن فارس بن زكريا رحمه الله (ت٣٩٥هـ) من المُعاصرين لابن جنِّي؛ فقد تأثر بمنهجه في معالجته للصِّلات بين الألفاظ من حيث جرسها المُركَّب من أصوات حروفها وبين دلالاتها المعنوية الخاصة؛ فوافانا بتحفة مُطرَّزة، ونفيسة لغوية فريدة، تعدُّ بحقٍّ مناط كلِّ فخرٍ وٱعتزاز لكلِّ عربيٍّ غيور على لغته الخالدة، سمَّاها بـ«**مقاييس اللغة**»[٤٥]..

ومن ذلك أيضاً مما ذكره ٱبن سنان الخفاجي (ت٤٦٦هـ)، التلميذ اللبيب لأبي الفتح: ألفاظ «**الفصم**» بالفاء الذي هو حرفٌ رخوٌ[٤٦]، و«**القصم**» بالقاف الذي هو حرفٌ شديد لكسر الشيء كسراً بليغاً حتى يبين[٤٧].. وفي «**الثلم**» الذي هو حرفٌ خفيف للخلل الطفيف غير البيِّن في الجدار[٤٨]، و«**الثلب**» الذي هو حرفٌ شديد للخلل البليغ في العرض[٤٩]، وفي

«**الزفير**» بالفاء لصوت الحمار[٥٠]، و«**الزئير**» بالهمزة الذي هو شديد، لصوت الأسد[٥١]... وما شاكل ذلك[٥٢]..

ومنه أيضاً - والأمثلة كثيرة لا يُحصيها العدُّ - ما جاء في قوله ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾﴾ [مَرْيَمَ]؛ أي: تزعجهم إزعاجاً.. وفي الآية الكريمة دلالة نفسية بينة؛ فأنْ تؤزَّ الشياطينُ الكافرين أزاً في معنى أنْ تهُزَّهم هزاً، وصوت الهمزة أخٌ شقيق، ونظير لصوت الهاء؛ فتقارُبُ اللفظين نابعٌ من تقارُب المعنيين، وكأنهم خصُّوا هذا المعنى بالهمزة؛ لأنها أقوى من الهاء، وهذا المعنى أعظمُ أثراً في النفوس، وأبلغ في إثارة المشاعر، وأكثر إلهاباً وتهييجاً للعواطف، وأدعى حافزاً في الاجتناب أو القبول من الهزّ[٥٣]!!

وممَّا يُؤشَّر في هذا السياق أيضاً: أنَّ أهمَّ ما يُلاحظ على ألفاظ علاقة الرَّجل بالمرأة في أسلوب القرآن الكريم: الوُعُورة وثقل الألفاظ ذات الدلالة المُباشرة على المُخالطة والجِمَاع.. في حين ٱمتازت الألفاظ ذاتُ الدلالة الكنائية باللين والسهولة!! ففي وصف التَّشكيل الصَّوتيِّ لتلك الألفاظ يظهر أنَّ ألفاظ الدلالة المباشرة: «**نكح**»[٥٤]، و«**رفث**»[٥٥]، و«**طمث**»[٥٦] تغلب عليها الأصواتُ المجهورة، أو الشديدة.. أما ألفاظ الكناية: «**مس**»[٥٧]، و«**باشر**»[٥٨]، و«**حرث**»[٥٩]، و«**سكن**»[٦٠]، و«**لامس**»[٦١]، و«**أفضى**»[٦٢]، و«**قرب**»[٦٣]، و«**لباس**»[٦٤]؛ فتغلب عليها الأصواتُ المهموسة، وتبدو عليها الرَّشاقة الصَّوتية والنعومة والتَّفشِّي، ممَّا يتناسب مع اللَّذَّة البدنية، وعدم الوقوف عندها؛ بل الوصول إلى إشراقاتها الروحية وفيضها العرفاني الساعي إلى تمثُّل العلاقة بين الزوجين تمثُّلاً يُفضي إلى وحدة الشعور والفكر والعقيدة والموقف الحياتي اللَّاحب المُمتدّ!!

وهذا ما تُعزِّزه كثرة توارد الألفاظ التي ٱختارتْ طريق اللُّطف في التعبير، بازاء الألفاظ المباشرة؛ إذ ٱستعمل القرآن الكريم ثمانية ألفاظ كَنَى بها عن الجماع، وكثر ترددُها في أثناء الآيات الكريمة.. في حين ٱستعمل ثلاثة ألفاظ فقط عبَّر بها عنه تعبيراً مباشراً، ووردتْ في الآيات الكريمة على نطاق محدود[٦٥]..

ممَّا تقدَّم نتبيَّن أنَّ بين اللفظ والمعنى علاقةً ما؛ فما يخرُجُ بالصَّوت يدلُّ على ما في النفس؛ وهي التي تُسمَّى: «**الآثار**»، والتي في النفس تدلُّ على الأمور؛ وهي التي تُسمَّى: «**المعاني**»..

فمعنى دلالة اللفظ: أن يكون إذا ٱرتسم في الخيال مسموعُ ٱسم؛ ٱرتسم في النفس معنىً؛ فتعرف النَّفسُ أنَّ هذا المسموع لهذا المفهوم، فكلَّما أورده الحسُّ على النَّفس؛ ٱلتفتتْ إلى معناه[٦٦].. وبتعبير آخر أدنى قطافاً وأقرب منالاً؛ فإنَّ التأليف الصُّوريَّ للَّفظ يرسم القيمة الدلالية للمعنى الذي يُقابله؛ وإنْ كان تطبيقُ ذلك على كلِّ عناصر النظام اللغويِّ أمراً بيِّنَ الصعوبة والعُسر[٦٧]..

أمَّا اللغويون المُحدثون؛ فقد شغلتْ دراساتهم وأبحاثهم الصَّوتية حيزاً كبيراً في بحوثهم اللغوية، ولقيتْ في صفوفهم رواجاً وقبولاً وإقبالاً؛ ولا سيَّما ما يتصل منها بالربط بين الأصوات ومدلولاتها[٦٨].. هذا، وقد ٱتفقتْ نظرة أرباب الدراسات اللغوية الحديثة مع آراء الأقدمين في القدرة الفائقة للحركات – الصوائت – على توجيه مدلولات الألفاظ على وفق ما يقصده المُتكلِّم.. وفي هذا السياق يقول الدكتور عبد الصبور شاهين: ((ولعلَّ أفضل ما يُصوِّر علاقة الصَّوامت بالحركات في بنية الكلمة أن نقول: إنَّ الصوامت – وهي مادَّة الكلمة الثابتة – تحمل المعنى الأصليَّ الذي تدلُّ عليه بمجموعها، وإنَّ الحركات تُشخِّص المعنى حين تُبرِزُهُ في وضعٍ مُعيَّن.. فهي التي تستقلُّ بتوجيه الدلالة إلى حيث يُريدُ المُتكلِّم))[٦٩]..

في ضوء ما تقدَّم من الإثباتات والأدلة التي لا تقبل شكَّاً ولا تأويلاً، يمكنُنا الإقرارُ مطمئنين بحقيقةٍ لغويةٍ بيانية، مفادُها أنَّ ((الأصوات اللغوية ليستْ عناصر مُتناثرة؛ وإنما هي نظامٌ مُنسَّق تحكُمُهُ علاقاتٌ خاصَّة في هذه اللغة أو تلك، فهناك قواعد تتجاوز النَّسيجَ المقطعيَّ القائم على توالي الصَّوامت والصَّوائت، هي التي تُحدِّد ذلك الانسجام))[٧٠].. وأكثر ما نجدُ ذلك التناسق الصَّوتيَّ العجيب، وطالما نلمس ذلك الانسجام النَّغَميَّ الفريد بأبهى صُوَرِهِ وأروع حُلَلِهِ في لغتنا العربية المجيدة؛ إذ إنَّ مُفرداتها المُتلائمة والمُتواشجة مبنيةٌ – أكثر من سِوَاها – على أصواتٍ مُتناسقةٍ ومُتناغمةٍ ومُنسجمةٍ، يتلاقى جرسُ حروفها مع إيحاء مدلولها، ويُعانقُ الصَّوتُ منها الصَّوتَ حتى نهاية البنية[٧١].. وتلك ظاهرة مُطَّردة في عُمُوم اللغة العربية المبينة، يتيسر ٱلتماسُها هنا وهناك في بنى ألفاظها ومفاصل تراكيبها، فما بالك بمعجزتها الخالدة وكتابها الأكبر: القرآن الكريم؟!!

إنَّ الحروف – من حيث هي أصواتٌ لغوية – تحمل طبيعةً نغميةً خاصَّة بكلٍّ منها؛ فأنْ يجد الساجع ٱنسجاماً مع بعض الحروف دون بعض أمرٌ طبيعيٌّ بالنظر لتلك الطبيعة النَّغَمية

الخاصَّة.. ولمَّا كان نقلُ أيِّ صوتٍ من أصوات الحروف من خلال التَّعبير عنه في حقيقة الأمر ومآله طبيعةً نغميةً؛ فمن الطبيعيِّ أن ينسجم مع بعض الأصوات دون بعض، كما تنسجم بعض الأوتار المُوسيقية في الآلة الواحدة وتتناغم مع أخرى قريبة منها ومُؤتلفة معها في درجة الصَّوت، في حين تُصدِرُ جلبة وضجيجاً مع بعضها الآخر ممَّا تنأى فيه تلك الدرجة أو تختلف!! لذا فإنَّ ترتيب حروف اللفظة الواحدة يجب أن يُراعى فيه انسجامُ حروفها، وأن يكون بناؤها على سَنَنٍ من هذا الأساس(٧٢)..

خلاصة ما تقدَّم بعبارة موجزة دالَّة أنَّ الأصوات اللغوية بائتلاف أنغام بعضها إلى بعض تُشكِّل مُفردات اللغة (Semantics)، وبتأليفها تُمثِّل الكلام في تلك اللغة..

انظر – إن شئت – في قوله ﷻ: ﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ١٨﴾ [سُورَةُ التَّكۡوِيرِ]؛ تجد من الروعة والجمال باجتماع كلمتي «**الصبح**»، و«**التنفس**» ما لا تجده لو جيء بأيِّ كلمة أخرى من كلمات اللغة قاطبة لتوضع مكان إحدى الكلمتين بهذا التأثير والتأثر العجيب؛ فإن عبارة «**الفجر إذا تنفس**» مثلاً لن تخالط نفسك بهذه الروعة، ولن تحسَّ بهذا التأثر إزاءها فيما لو جيئت بديلة عن لفظة «**الصبح**»؛ باعتبارها مُرادفة أو مقاربة لها؛ فإن كلمة «**الفجر**» – وإن كانت رديفة لكلمة «**الصبح**» – تختلف معها في الاشتقاق؛ لأنها مشتقة من الانفجار، وهذا يعني أنَّ «**الفجر**» أول سطوع ينشقُّ عنه ظلامُ الليل(٧٣).. في حين إنَّ «**الصبح**» مأخوذٌ من الإصباح؛ وهو سريان الضوء لتمزُّق رداء الظلام الذي يُجلِّل الفضاء(٧٤)؛ ولذلك كانت كلمة «**الصبح**» هنا أليقَ وأنسَبَ من كلمة «**الفجر**»؛ لاقترانها بذكر التَّنفُّس، والتَّنفُّس دليلُ الحياة؛ لأنه عبارة عن جذب الأنفاس إلى داخل الجسم وإخراجها منه، وبدخول الأنفاس في الجسم؛ فإنها تهبُ الجسمَ مادَّة الحياة، وخروجها استمرار للحياة.. وهذا لا يناسب ذكر «**الفجر**» كما يناسب ذكر «**الصبح**»؛ لما تُصوِّره جملة ﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ من ذلك المشهد الذي ينسابُ فيه ضوءُ الصباح في الفضاء فيطوي رداء الظلام، وتسري الحياة في عالم الأرض؛ فتتفتح الأزهار، وتغني الأطيار، وتشرق الأكوان بالأنوار، وتتنسَّم برد الصبا، وتحيا بالنشور والحركة؛ إذ ترى الناسَ بين آتٍ وذاهب غدواً إلى أعمالهم، والحيوانات تنطلق من مرابضها ساعية وراء رزق ربها، والأشجار تستقبل أزهارُها وأوراقُها هذا الضياء استقبال العاشق لمعشوقه(٧٥)..

ومن هنا؛ فقد منح الصَّوتُ اللفظة دفقاً دلالياً مُضافاً، يُحَسُّ في عناصر تشكيلها وبنائها.. ولَّما كان ذلك الدَّفقُ مُنبعثاً من عناصره؛ فليس إحساسُهُ مقصوراً على شخص مُعيَّن؛ وإنما هو مادَّة دلالية ثرية، ذاتُ عطاءٍ جزيل، يُحِسُّه الجميع.. على أن لا يجُرَّنا ذلك إلى القول باستقلال وحدة الدلالة الصَّوتية بأداء معنى اللفظة في العربية؛ فهي ليستْ دلالة مُؤسِّسة للمعنى بقدر ما هي مُؤكِّدة له ضمن عناصر السياق(٧٦)..

هذا، وخصَّص الدكتور محمد المُبارك في كتابه القيِّم «**فقه اللغة وخصائص العربية**»، مبحثين لدراسة القيم التعبيرية والوظائف البيانية للحروف في اللغة العربية، أكَّد من خلالهما على وُجُود التناسب الصَّوتيِّ، والتوافق الجرسيِّ والإيقاعيِّ، والتقابل المُوسيقيِّ في تركيب الكلمات وحروفها، وعدَّ ذلك واحداً من أهمِّ الأدلة التي تُقدِّمها لنا العربية المعطاء من خاصتها الطبيعية، والتي تثبت لنا من خلاله أنها ٱبنة الفطرة والطبيعة(٧٧)..

فالكلمة ليستْ صورةً جامدة مُجرَّدة من المضمون؛ وإنما هي صوتٌ يلفظ؛ ما يجعلها تتَّصل ٱتصالاً وثيقاً بالمُوسيقى.. وعلى هدىً ممَّا تقدَّم يتبيَّن لنا الحرصُ البالغ للغة على ٱئتلاف الجرس، وتيسير التعبير، وصفاء الرَّونق، وخفَّة الأداء؛ من خلال هجرها لكلِّ حُوشيٍّ ونابٍ وخشن من الألفاظ، وتجافيها عن كلِّ مُؤذٍ ومُستكره وممجوج من حركات الصَّوت.. والكلمة أو اللفظة – قبل كلِّ شيء – عبارة عن صوتٍ مُتَّسقٍ ومُتناسقٍ ينطق به الإنسان؛ ليُعبِّر به عن أغراضه البيانية الجائلة في صدره.. والجرس – الذي تشع به هذه اللفظة أو تلك – يُوحي في نفس المُتلقِّي صورة ذهنية تُناسبُ إيقاعه، وتشيع في خلجات صدره جواً نفسياً معيناً له القابلية الفائقة والقدرة الخلَّاقة – بما توحيه عليه وتضفيه من شخوصٍ حية غادية ورائحة – على تجسيد صور تتناسب والجوَّ المُوسيقيَّ النفسيَّ الذي يُحدِثه إيقاعُ ذلك الجرس ومُوسيقاه العذبة الأخَّاذة.. والألفاظ تجري من السَّمع مجرى الصُّور من البصر(٧٨)!!

المبحث الثاني
تحليل البنى الصرفية لطائفة من الألفاظ العربية والقرآنية وتفكيكها وأثر ذلك في تجميع التركيبة الصوتية وٱستيحاء دلالتها

ممَّا سبق عرضُهُ وتناوله تبيَّنَّا أنَّ ((الحروف الهجائية إليها تُحلَّل الكلماتُ اللغوية، فما من لغة في الأرض إلا وأرجعها أهلُها إلى حروفها الأصلية، سواءٌ أكانت اللغة العربية أم

اللغات الأعجمية، شرقية وغربية؛ فلا صَرْفَ، ولا إملاء، ولا ٱشتقاق.. إلا بتحليل الكلمات إلى حروفها، ولا سبيل لتعليم لغة وفهمها إلا بتحليلها، وهذا هو القانون المسنون في سائر العلوم والفنون))[٧٩]..

ولا يُمكنُنا بحالٍ تحليلُ حروف هذه اللغة أو تلك من دُون الوُقُوف على أصدائها الصَّوتية المُتنوِّعة وما تبثُّه من أعماقها من إيماءاتٍ وإيحاءات دلالية شتَّى.. وبذا يُمكنُنا عدُّ الأصواتِ المظهرَ المادِّيَّ للغة؛ ذلك أنها تجتمع بحسب نظام مُعيَّن لتؤلِّف الكلماتِ التي هي موضوعُ علم الصَّرف، ثمَّ إنَّ هذه الكلماتِ تنتظم أيضاً فيما بينها لتؤلِّف التراكيبَ النحوية (Syntactic Structures).. فالنظام الصَّرفيُّ (Morphology, Morphematics) لا يتألف إلا من الأصوات (phonetics, Phonology, Phonemes)، كما إنَّ النظام النحويَّ لا يتخذ أيَّ نوع من المباني سوى ما يُقدِّمه له النظام الصَّرفي[٨٠]..

وبالتحليل العلميِّ اللغويِّ الصرفيِّ القائم على ((التَّلعُّب بالحروف الأصول لما يُرادُ فيها من المعاني المُفادة منها))[٨١]، يُمكنُنا معرفة أنَّ بناء الفعل الثلاثيِّ في العربية قد نشأ بدمج مقطعين صوتيين ثنائيين ٱثنين في لفظةٍ واحدةٍ على قاعدة النحت والاشتقاق الكبير[٨٢].. فلفظة: «**بتر**» مثلاً يُمكنُ تقطيعُها بلا قلبٍ إلى ثلاثة مقاطع ثنائية الحروف؛ وهي: «**ب ت**»، و«**ب ر**»، و«**ت ر**».. وبدمج المقطع الأصل: «**ب ت**» – من: «**ب ت ت**»؛ بمعنى: قطع – مع المقطع الثانويِّ: «**ت ر**» من: «**ت ر ر**» **العضوُ**؛ بمعنى: بان وٱنقطع.. نحصل على الفعل الثلاثيِّ «**بتر**»، قال ﷻ: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾ [سُورَةُ الْكَوْثَرِ]..

وهكذا توافقتْ معاني أسرة اللفظة اللغوية ومقاطعُها الصَّوتية وإيحاءاتُ حروفها في تمثيل واقعة البتر ومُحاكاتها؛ من الإبانة والحدَّة والقطع[٨٣]..

ومن الأمثلة العديدة الأخرى للمزاوجة بين تحليل البنية الصَّرفية وٱستيحاء التركيبة الصَّوتية لطائفة من ألفاظ العربية المبينة والقرآن المجيد، وأثرهما في التوصُّل والاهتداء بدقة إلى مدلولاتها ما يأتي:

❖ مفهوم «**الفكر**» هو إعمالُ العقل في المعلوم للوصول من خلاله إلى معرفة المجهول[٨٤].. فمن أفراد الأسرة اللغوية لهذه اللفظة: **فكَّر في الأمر**؛ إذا أعمل عقله فيه ورتَّب بعض ما يعلم؛ ليصل به إلى مجهول، **وأفكر في الأمر**: فكَّر فيه، **وٱفتكر الأمرُ**: خطر بباله،

والفكرة: الصورة الذهنية لأمرٍ ما[٨٥].. ومن مقاطعها الصَّوتية والبنائية: «**ف ك**» من: **فكَّ الشيء**؛ إذا فصل أجزاءه، **وفكَّ العُقْدة**: حلَّها.. و«**ف ر**» من: «**ف ر ر**» **الأمرَ، وفرَّ عنه**؛ إذا بحثه ليكشفه، **وفرَّ الدَّابَّة**: كشف عن أسنانها؛ لينظر ما سنُّها[٨٦].. و«**ك ر**» من: «**ك ر ر**» **الليلُ والنهارُ**: عادا مرَّة بعد أخرى[٨٧]..

فالمقطع الأصل للفظة هو: «**ف ك**» لُمضاهاة ما يقوم به الذِّهنُ من تجزئة المشكلة موضع النظر وتحليلها إلى عناصرها الأولية؛ ماديَّة كانتْ أم ذهنية، والراءُ المُلحقة به للدلالة على التَّحرُّك والتكرار والترجيع في الذهن أثناء التفكير.. أما المقطع الثانويُّ لها؛ فهو: «**ك ر**» للترجيع والتكرار، والفاء الملحقة به للتَّوسُّع والانفتاح في الذهن.. وللقارئ - إذا رغب - أن يَعُدَّ المقطع الثانويَّ «**ف ر**» للبحث والاختبار والانفتاح، والكاف الملحقة به لاحتكاك الذِّهن بما لديه من مُعطيات..

أما في حُرُوفها؛ فـ«**الفاء**» للشَّقِّ والفصل والانفراج والانفتاح ممَّا يُضاهي تجزئة موضع التأمُّل وتحليله إلى عناصره الأولية، و«**الكاف**» للاحتكاك ممَّا يُضاهي إعمالَ العقل في المُطابقة بين المُعطيات المعلومة وبين المجاهيل المطلوب معرفتها؛ كما في الفكر الهندسيِّ والرياضيِّ، أو الفلسفي.. و«**الراء**» للتكرار والترجيع بما يُضاهي إنعام النظر وإجالته وتقليب الأمر على مختلف وجوهه، قال ﷻ: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ ﴿٨﴾﴾ [سُورَةُ الرُّومِ]، وقال ﷻ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [سُورَةُ النَّحْلِ]..

وهكذا توافقتْ معاني أسرة اللفظة اللغوية ومقاطعُها الصَّوتية وإيحاءاتُ حروفها في تمثيل آلية الفكر ومُحاكاتها؛ من فصلٍ وٱنفتاحٍ وتكرارِ بحثٍ وٱختبارٍ وكشفٍ للوصول إلى حقيقة ما[٨٨]..

❖ و«**العدل**» هو الإنصاف؛ وهو إعطاء المرء ما له وأخذ ما عليه[٨٩].. ومن أفراد الأسرة اللغوية لهذه اللفظة: **عدل عدلاً وعُدُولاً**: مال، **وإليه**: رجع، **وفي أمره**: ٱستقام، **وٱعتدل**: توسَّط بين حالين من كمٍّ وكيفٍ، **والعِدْلُ**: المثيل والنظير ونصفُ الحِمْل يكون على أحد جنبي البعير[٩٠].. وهكذا؛ فالمعنى المحسوس لمفهوم العدل هو نصف الحِمْل وزناً لا نوعاً.. ومن

مقاطعها الصَّوتية والبنائية: «**ع د**» من: «**ع د د**» **الدراهم**: حسبها وأحصاها، **والعديد**: النِّدُّ والقرن والنظير[٩١]، و«**ع ل**» من: «**ع ل ل**»؛ إذا شرب ثانية ومرض[٩٢]، و«**د ل**» من: «**د ل ل**» **فلانٌ فلاناً على الطريق**: أرشده وهداه[٩٣]..

فالمقطع الأصل للفظة هو: «**ع د**» للقرن والنِّدِّ والنظير.. أما المقطع الثانويُّ؛ فهو: «**د ل**» للهداية والإرشاد.. ففي حروفها: «**العين**» للعيانية والوضوح والسُّموِّ، و«**والدال**» للشِّدَّة، و«**اللام**» للتَّعلُّق والالتصاق.. فالعدل - بحسب المعاني أعلاه - يتصف بالعيانية والظهور والوضوح - للعين - وبالشِّدَّة - للدَّال - وبالالتزام - للَّام - ..

وبذا يتلخَّص مفهوم العدل في المُوازنة العلنية بين الحقوق، والمُوازنة هي أحد عناصر الجمال؛ على أنَّ ظاهرة العطاء في العدل هي الأصل؛ كما في قوله ﷻ: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ ﴿٣﴾﴾ [سُورَةُ النِّسَاءِ] .. وحينما يقضي العدلُ أنَّ يأخذ من أحدٍ شيئاً؛ فذلك ليعطيه إلى صاحب حقٍّ آخر؛ فيأخذه بالحقِّ؛ وفي ذلك قوله ﷻ: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾﴾ [سُورَةُ الأَعْرَافِ] ..

وهكذا توافقتْ معاني أسرة اللفظة اللغوية ومقاطعُها الصَّوتية وإيحاءاتُ حروفها في تمثيل خصلة العدل ومُحاكاتها؛ من ميلٍ وحساب وهداية ووضوح وشدَّة وٱلتزام[٩٤]..

❖ وكذا فإنَّ «**الحقَّ**» ضدُّ الباطل، والوجود الثابت، والأمر المقضي، والعدل، والمال، والملك، والصدق، والحزم، والواجب... وما أكثر الخلط في هذا التعريف[٩٥]!! وهو من أسماء الله الحسنى وصفاته العُلى.. ومن أفراد الأسرة اللغوية لهذه اللفظة: **حقَّ الأمرَ**: أوجبه، **وٱستحقَّ الشيءَ**: ٱستوجبه وٱستأهله، **والحقُّ**: النقرة في رأس الكَتِف، أو رأس الوَرِك الذي فيه عظم الفخذ، **وحقُّ الطيب**: وعاؤه[٩٦].. فالمعنى الحسِّيُّ الأصل لهذه اللفظة هو: الحقُّ للنقرة في رأس الكَتِف، أو رأس الوَرِك، وهذه النقرة هي الحيِّز الطبيعيُّ اللازم والكافي للنتوء في عظم العَضُد أو عظم الفخذ كيما يقوم من خلالها بوظائفه الحيوية الطبيعية؛ فلا تضيُّق في النقرة يحول دون تحرُّك ذلك النتوء، ولا توسُّع فيها يُؤدِّي به إلى الانخلاع من مقرِّه.. وهذا ما يتوافق مع مفهوم الحقِّ الطبيعيِّ للإنسان..

ففي حروف لفظة «**الحقّ**»: «**الحاء**» للعاطفة والحرارة والإحاطة، و«**القاف**» المُشدَّدة للمزيد من القوَّة والمقاومة.. وهذان الحرفان – الجامعان بين معاني العاطفة والقوَّة دونما فاصل بينهما – يحكيان قصَّة الحقِّ عبر التاريخ؛ فحقُّ التملك – وهو أصلُ الحقوق جميعاً – يبدأ برغبةٍ ما – للحاء – فتعمل القوَّة فوراً على تحقيقها – للقاف المُشدَّدة – ؛ وذلك ((سوقاً للحروف على سَمْت المعنى المقصود والغرض المطلوب))[٩٧].. على أنَّ مفهوم الحقِّ بحسب أسرة هذه اللفظة وحرفيها هو: أنْ يأخذ الإنسانُ الحيِّزَ اللازم والكافي لُممارسة وظائفه الطبيعية من دون ما زيادة أو نقصان في شتى مجالات الحياة الأسرية والدينية والسياسية وما إليها؛ فظاهرة الأخذ في مفهوم الحقِّ تقابل ظاهرة العطاء في مفهوم العدالة؛ وإنْ كان كلٌّ منهما يُكمِّل الآخرَ ويُتمِّمه، ويتمُّ به ويكتمل..

وهكذا يُضفي حرفُ الحاء على مفهوم الحقِّ حرارة التعلُّق العاطفيِّ بمواضيعه والإحاطة التامة بتلك المواضيع.. أما حرف القاف؛ فيكشف عمَّا يقتضي الإنسانَ من قوَّةٍ للحصول على حقوقه بمواجهة ما يلقاه في سبيل ذلك من مقاومة جميع الكائنات، وقوانين الطبيعة، والأنظمة الاجتماعية على حدٍّ سواء، قال ﷻ: ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ ﴿١٠٥﴾﴾ [سُورَةُ الإِسْرَاءِ]، وقال ﷻ: ﴿وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾﴾ [سُورَةُ الأَنفَالِ]..

ومفهوم الحقِّ بحسب دلالة اللغة العربية يختلف عن مفهوم العدالة في أمورٍ كثيرة، منها: أنَّ العدالة موضوعية عيانية، والحقُّ ذاتيٌّ صميميٌّ.. ومنها: أنَّ العدالة ظاهرة ٱجتماعية، والحقُّ ظاهرة أصالة حياتية.. ومنها: أنَّ العدالة توازنٌ، والحقُّ تكاملٌ.. ومنها: أنَّ العدالة عطاءٌ، والحقُّ أخذٌ..

وهكذا توافقتْ معاني أسرة اللفظة اللغوية ومقاطعُها الصَّوتية وإيحاءاتُ حروفها في تمثيل حقيقة الحقِّ ومُحاكاتها؛ من العاطفة والحرارة والقوَّة [٩٨]..

❖ و«**الرحمة**» لغة هي: رِقَّة القلب، وٱنعطافٌ يقتضي التفضُّل والإحسان والمغفرة.. ومن أفراد أسرتها اللغوية: **رَحِمَه**: رقَّ له وغفر وتعطَّف، **والرَّحِم والرِّحْم**: بيت منبت الولد ووعاؤه في بطن الأم، والقرابة وأصلها وأسبابها، **والرحمن والرحيم**: من أسماء الله الحسنى

وصفاته العُلى[٩٩].. ومن مقاطعها الصَّوتية والبنائية: «**ر م**» من: «**ر م م**» **الشيءَ رماً ومَرَمَّة**: أصلحه وقد فسد بعضُه[١٠٠].. و«**ح م**» من: «**ح م م**» **التنور**: أوقده، **والحميمُ بالحاجة**: الكَلِفُ بها[١٠١].. «**ر ح**» من: «**ر ح ح**» **الفرس**: اتسع حافرُه، **والرُّحُحُ**: الجِفَان الواسعة[١٠٢].. والمقطع الأصل للفظة هو: «**ر ح**» بمعنى الاتساع، والجَفْنة الواسعة للطعام، أُلحِقَتْ به الميم للانجماع والانضمام.. وهكذا؛ فإنَّ الجَفْنة الواسعة المفتوحة المُعدَّة للطعام في «**ر ح**» تنقلَّب بميم الأمومة المُضافة إلى وعاءٍ واسع مغلق مُعدٍّ لاستيعاب الجنين وما يحتاجه من الطعام في الرَّحِم[١٠٣].. أما المقطع الثانويُّ؛ فهو «**ح م**» للحرارة والإحاطة والتَّعلُّق، وخاصية الأهل والولد.. وفي حروفها: «**الراء**» للتحرُّك والتأوُّد، و«**الحاء**» هنا للإحاطة وعاطفة المحبَّة والحرارة، و«**الميم**» للانضمام والانجماع والحرارة..

وهكذا تتوافقُ معاني هذه الحروف إلى أقصى الحدود مع معنى الرَّحِم، ومع مفهوم الرحمة في كلِّ ما يكتنفهما من مظاهر الحركة والحرارة والإحاطة والانضمام، حسِّيِّها ومعنويها على حدٍّ سواء.. ولَّما كان أصلُ المعاني في اللفظة العربية هو المعنى الحسِّيُّ المأخوذ من بيئة العربي وما اكتنفتْه من مظاهر الطبيعة المُختلفة، وفي أثناء هذا البحث طائفة وافية من الألفاظ التي تُدلِّل لتلك الحقيقة؛ فإنَّ مفهوم الرحمة قد اشتقَّ من الرَّحِم كوعاءٍ للولد؛ وذلك لما تقتضيه هذه الصِّلة بين الأمِّ وجنينها من دواعي العطف والحَدَب والرِّقَّة والحنان، قال ﷻ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ ﴿١٥٩﴾﴾ [سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ]، وقال ﷻ: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾﴾ [سُورَةُ مَرْيَمَ]..

وبذا يتجاوز مفهوم الرَّحمة مفاهيمَ العدالة من تعادُلٍ واعتدالٍ، والحقِّ الواجب، والكرم والصَّدَقة من العطاء.. إلى ما هو أمسُّ بصميم الإنسانية، فكما إنَّ عاطفة الأمومة تنبعث أصلاً من علاقة الأمِّ بمعناها – الجنين – ؛ فإنَّ الرحمة تنبعث أيضاً من علاقة الإنسان بمعناه الملقى على عواتق الآخرين في فيضٍ ذاتيٍّ يلتزم به وجدانياً تجاههم عفو فطرته السوية في وعاءٍ من الرَّحمة لا أوسع رِحَاباً، ولا أضمَّ آصرة، ولا أكثر دفئاً!! جاء في الكتاب العزيز: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ ﴿١٥٦﴾﴾ [سُورَةُ الأَعْرَافِ]؛ فكان الرحمنُ الرحيمُ من أسماء الله الحسنى وصفاته العُلى..

وهكذا توافقتْ معاني أسرة اللفظة اللغوية ومقاطعُها الصَّوتية وإيحاءاتُ حروفها في تمثيل صفة الرحمة ومُحاكاتها؛ من التأوُّد والإحاطة والحَدَب والعاطفة والانضمام والحرارة..[١٠٤]

❖ و«**الحُبُّ**» لغة من قولنا: **حبَّ الأمرُ**: صار محبوباً، **وحبَّ فلانٌ فلاناً**: أحبَّه.. ومن أفراد الأسرة اللغوية لهذه اللفظة: **حبَّب الزرعُ**: بدا حبُّه، **وتحبَّب إليه**: تودَّد، **والحَبَابُ**: طرائق تظهر على وجه الماء تصنعها الريح[١٠٥].. وفي حروفها: «**الحاء**» هنا للعاطفة والإحاطة والحرارة، و«**الباء**» للشَّقِّ والبقر والحفر، قال ﷻ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ ﴿٣١﴾﴾ [سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ]، وقال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴿٥٤﴾﴾ [سُورَةُ المَائِدَة]..

وهكذا فـ«**الحُبُّ**» بحسب المعاني أعلاه عبارة عن شحنةٍ عاطفيةٍ جميلةٍ تغزو القلب؛ فتشقُّ طريقها إلى شغافه، وتحفر فيه عميقاً إلى سويدائه؛ بمعنى أنَّ الحبَّ يأتي من العالم الخارجيِّ غازياً على جناح صورة جميلة، أو في سهام من نظراتٍ آسرة؛ وذلك ((سوقاً للحروف على سَمْت المعنى المقصود والغرض المطلوب))[١٠٦]؛ لتلتقي بذلك وجهة نظر العربيِّ في فهم فلسفة الحبِّ مع وجهة نظر اليونان حين مثَّلوه بسهامٍ يُطلِقُها طفلٌ جميل؛ فيشقُّ بها قلوب الناس!! على أنَّ العربيَّ قد اكتفى بإعطاء مفهوم الحبِّ معاني التعلُّق والوداد؛ ليُضفي عليه حرف «**الحاء**» ما يلزمه من العاطفة والحرارة والجمال، وليمنحه حرف «**الباء**» معاني العُمق والتغلغل في الأحشاء دونما أيِّ تصوُّرٍ جنسيٍّ، خلافاً لما يرى بعض مُفكِّرينا!! ولكن أين هذا المفهوم ممَّا يُكابِدُه المُحبُّ من قلقٍ وأرقٍ وشوقٍ وتعلُّقٍ وولعٍ ووله، ممَّا يقرح الجفون، ويُضني الجسم، ويذهبُ باللُّبِّ؟!!

لقد أحال العربيُّ هذه الحالات العاطفية إلى ألفاظٍ أخرى كيما تدلَّ عليها، قد اختصَّ كلٌّ منها بالكشف عن لونٍ ما من ألوان الحبِّ، وعن درجةٍ ما من درجاته؛ كـ«**الشغف**»، و«**العشق**»، و«**الغرام**»، و«**الهوى**»، و«**التيم**»... وهكذا احتفظ العربيُّ لمفهوم الحبِّ بصفائه ونقائه وبراءته وحرارته وعُمقه وعِفَّته وكياسته وجماله؛ ممَّا يجعل هذه العاطفة صالحةً للتداول بين الأصدقاء أيضاً، وبين الآباء والأبناء، وبين الناس والطبيعة، وبين الله ﷻ والناس.. ولقد

تردَّد ذكر الحُبِّ ومشتقاته في خمس وسبعين آية من القرآن الكريم، ولم يردْ بمعنى العشق إلا في آية واحدة مقترناً بالشغف: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ ﴿٣٠﴾﴾ [سُورَةُ يُوسُفَ]؛ ممَّا يُبرهن ابتعاد مفهوم الحُبِّ الصِّرْف عن التصوُّر الجنسيِّ الشَّائب!!

وهكذا توافقتْ معاني أسرة اللفظة اللغوية ومقاطعُها الصَّوتية وإيحاءاتُ حروفها في تمثيل شعور الحبِّ ومُحاكاته؛ من العاطفة والحرارة والجمال والتغلغل والعُمق(١٠٧)..

فعاطفة الحبِّ في اللغة العربية - كما هي في الطبيعة الإنسانية - إنما هي وقفٌ على حرفين اثنين: عاطفة جميلة يحتضنها قوسٌ من «**الحاء**»، مشدودة إلى سهم من «**الباء**» يشكُّها المحبوبُ في سويداء القلب!! فالحبُّ - في رأي اللغة العربية بين فتىً وفتاة - ليس مُجرَّد نداءٍ غريزيٍّ خفيٍّ؛ وإنما هو - قبل ذلك - اختبار حسَّاسية مشاعر وتجربة حياة، وامتحان وُجُود.. فمن لم يغزُ الحبُّ النقيُّ قلبه أنى كان مصدرُهُ ومحلُّه؛ تبرحُ أعماقُهُ النفسية مُغلَّقة الأبواب، لا يتسرَّب إليها نورٌ، وخامدة لا تحرِّكها أنسامٌ.. وهكذا يُمضي صاحبُ هذا القلب المُتحجِّر أو العاصي عُمُرَه وفي نفسه ضمورٌ، وفي عواطفه شللٌ، هيهات أن يعرف للجمال طعماً، وللإيثار معنى(١٠٨)!!

❖ و«**الغرام**» هو التَّعلُّق بالشيء تعلُّقاً لا يُستطاع التَّخلُّصُ منه، والعذاب الدائم المُلازم(١٠٩).. ومن أفراد الأسرة اللغوية للفظ الغرام: **أُغرِمَ بالشيء**: أُولِعَ به؛ **فالمُغرَم**: المُولع بالشيء لا يصبر على فراقه.. **والغرامة**: الخسارة.. ومعانيها تتردَّد بين الولع والغرامة(١١٠).. ومن مقاطعها الصَّوتية والبنائية: «**غ ر**» من: «**غ ر ر**» **الرجل غَرَارة وغِرَّة**: جهل وغفل؛ فهو غِرٌّ، **وغرَّ فلانٌ فلاناً غراً وغُرُوراً**: خدعه وأطمعه بالباطل، **والغَرَر**: الخطر(١١١).. «**غ م**» من: «**غ م م**» **اليومُ**: اشتدَّ حرُّه حتى كاد يأخذ بالنفس، **وغمَّ الشيءَ**: غطاه وستره، **والغمُّ**: الكرب أو الحزن يحصل للقلب بسببٍ ما(١١٢).. و«**ر م**» من: «**ر م م**» **العظم**: بلي، **ورمَّ الشيءُ رماً ومَرَمَّة**: أصلحه وقد فسد بعضه، **الرُّمُّ**: الهمُّ(١١٣)..

وهكذا؛ فإنه ليس لعاطفة الحبِّ ممَّا ورد آنفاً سوى ما جاء فيها من الولع بالشيء والتَّعلُّق به، كما يُمكنُ صرفُها أيضاً إلى التعلُّق ببعض العادات والهوايات والملذَّات وما إليها بمعرض المدح والذَّمِّ على حدٍّ سواء.. ولئن كانت المعاني المُستخلصة من مقاطعها خِلْواً من كلِّ ما يُمتُّ

إلى معاني الحبِّ بصلة؛ فإنَّ من شأنها أن تُصوِّر لنا الحالة النفسية للمُغرم بعد أن يقع في شراك الحبِّ، ويتمكَّن من نفسه؛ فيتعلَّق به تعلُّقاً لا يستطيع منه فكاكاً.. فللغرام من المقطع الصرفيِّ والصَّوتيِّ «غ ر»: الجهلُ والغفلة والخدعة والخطر والتعرُّض للهلاك، وله من المقطع «غ م»: الكرب والحزن وشدَّة الحرارة والظلمة، وله من المقطع «ر م»: البلى والهمُّ!!

وما إخالُ أنَّ ثمَّة مُحلِّلاً نفسياً يستطيع تصويرَ الحالات التي يمرُّ بها المُغرَمُ بأبلغ وأدقِّ وأصدق ممَّا جاء في معاني هذه المقاطع الصَّوتية وإيحاءاتها اللغوية المُعجمية.. على أنَّ مفهوم «**الغرام**» على وفق ما جاء في مقاطع هذه اللفظة إنما هو مَدِينٌ في معانيه إلى حرف «**الغين**» للغيبوية النَّفسية والغؤور والظلام، ولحرف «**الراء**» للتَّحرُّك والحرارة والقلق والهَيَجان، ولحرف «**الميم**» في آخر اللفظة للانضمام والحرارة والانجماع.. فالغرام في أحنى وصفٍ نقديٍّ تحليليٍّ له لا يعدو كونه حالة مرضية من حالات الحُبِّ، وليس إلا مظهراً من مظاهره العليلة!!

وهكذا توافقتْ معاني أسرة اللفظة اللغوية ومقاطعُها الصَّوتية وإيحاءاتُ حروفها في تمثيل ظاهرة الغرام ومُحاكاتها؛ من غيبوبةٍ وقلقٍ وحرارةٍ وهيجانٍ وحركة[١١٤]..

❖ «**الصِّدق**» هو مُطابقة الكلام للواقع بحَسْب ٱعتقاد المُتكلِّم، وهو الصَّلابة والشِّدَّة[١١٥].. ومن أفراد الأسرة اللغوية لهذه اللفظة: **صدق في الحديث**: أخبر بالواقع، **والصديق**: الصاحب الصادق الودِّ.. **والصَّدْق**: الكامل من كلِّ شيء، **ورجلٌ صَدْقٌ في القتال**: ثبتٌ فيه، **وتصدَّق عليه**: أعطاه؛ أي: فعل معه فعل الأصدقاء[١١٦].. ومن مقاطعها الصَّوتية والبنائية: «**ص د**» من: «**ص د د**»؛ بمعنى: ٱعترض، أو منع، أو صرف[١١٧].. و«**د ق**» من: «**د ق ق**»؛ بمعنى: كسر، **ودقَّ الأمرُ**: كان خفياً لا يدركه إلا الأذكياء ذوي الفطنة[١١٨].. و«**ص ق**»، في حروفها: «**الصاد**» للصفاء والصلابة، و«**الدال**» للشِّدَّة والقوَّة، و«**القاف**» للقوَّة والمقاومة، قال ﷻ: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [سُورَةُ الزُّمَرِ]، وقال ﷻ: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [سُورَةُ يُوسُفَ]، وقال ﷻ: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [سُورَةُ الشُّعَرَاءِ]..

وبذا؛ فإنَّ مفهوم «**الصِّدق**» بحسب المعاني المُستخلصة من أفراد أسرتها اللغوية ومقاطعها الصَّوتية وإيحاءات حروفها يتجاوز الإخبار بالواقع إلى صفاء الطويَّة وصدِّ الإنحراف والشطط؛ ليصدق بذلك القولُ المأثور: «**الصَّديق من صَدَقَك، لا من صَدَّقك**»..

وهكذا توافقتْ معاني أسرة اللفظة اللغوية ومقاطعُها الصَّوتية وإيحاءاتُ حروفها في تمثيل خصلة الصدق ومُحاكاتها؛ من خفاء وصفاء وصلابة وقوَّة [١١٩]..

❖ ولفظة «**الكَرَم**» تعني: العطاء بسهولة، والجود[١٢٠].. ومن أفراد الأسرة اللغوية لـ«**ك ر م**»: **كرمه وكارمه، وٱستكرم، والتكرمة**... وهي تدور حول معاني الجُود والعطاء، **والكَرْم**: شجرة العنب[١٢١].. ومن مقاطعها الصَّوتية والبنائية: «**ك ر**» من: «**ك ر ر**» **الفارس كرَّاً**: عاد مرَّة بعد أخرى، **وكرَّر الشيءَ**: أعاده مرَّة بعد أخرى[١٢٢]، و«**ك م**» من: «**ك م م**» **الناس**؛ إذا ٱجتمعوا[١٢٣]، و«**ر م**» من: **رَّم الشيءَ رماً ومَرَمَّة**: أصلحه وقد فسد بعضُه[١٢٤]..

والمقطع الأصل للفظة هو: «**ك ر**» للتكرار والإقدام، والمقطع الثانويُّ هو: «**ر م**» للإصلاح.. ومُحصِّلة معنييهما هي: تكرار إصلاح ما فسد من حال الناس بالعطاء.. ففي حروفها: «**الكاف**» للاحتكاك، و«**الراء**» للتحرُّك والتكرار، و«**الميم**» للانضمام والانجماع بما يفيد الترميم والإصلاح.. ومن معاني الأسرة اللغوية لهذه اللفظة ومقاطعها وحروفها يتضح أنَّ مفهوم «**الكَرَم**» يتناقض مع الإسراف والتبذير والسفه ببذل المال فيما لا يُغني ولا يُرمِّم، قال ﷻ: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ٧٧﴾ [سُورَةُ الوَاقِعَةِ]، وقال ﷻ: ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ٢٣﴾ [سُورَةُ الإِسۡرَاءِ]، وقال ﷻ: ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ١٠ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ١١﴾ [سُورَةُ الإِنفِطَارِ]..

وهكذا توافقتْ معاني أسرة اللفظة اللغوية ومقاطعُها الصَّوتية وإيحاءاتُ حروفها في تمثيل خصلة الكرم ومُحاكاتها؛ من العودة والتكرار والإصلاح والترميم[١٢٥]!!

❖ و«**الحُسْن**» هو الجمال، وكلُّ مُبهج مرغوب فيه[١٢٦].. ومن أفراد أسرتها اللغوية: **أحسَنَ**: فعل ما هو خيرٌ، **وأحسَنَ الشيءَ**: أجاد صُنعه، **وحاسنه**: عامله بالحسنى[١٢٧].. ومن مقاطعها الصَّوتية والبنائية: «**ح س**» من: «**ح س س**» **الشيءَ وبه حسيساً**: أدركه بإحدى حواسِّه، **وأحسَّ الشيءَ وبه**: علم به[١٢٨].. و«**ح ن**» من: «**ح ن ن**» **حنيناً**: صوتٌ، **وحنَّ إليه**: ٱشتاق[١٢٩].. و«**س ن**» من: «**س ن ن**» **الحَجَرَ ونحوه**: صقله، **وسنَّ الشيءَ**: صوَّره وملَّسه،

والطريقَ: مهَّده، **وسنَّن كلامه**: حسَّنه وهذَّبه[١٣٠].. والظاهر أنَّ كلًّا من هذه المقاطع الثلاثة يصلح أن يكون أصلاً ومادَّةً لمفهوم «**الحُسْن**»؛ ليكون هو نفسه مُحصِّلة معانيها؛ فالمقطع: «**ح س**» للإحساس بالشيء والعلم به، يدخل الحسن في نطاق المحسوسات، والمقطع: «**ح ن**» يكشف عمَّا يُثيره الحسنُ في النفس من عواطف الشوق والحنين؛ ليتجاوز الحُسْن بذلك نطاق المحسوسات إلى ما هو غير محسوس من العواطف والمشاعر والمعاني.. أما المقطع: «**س ن**»؛ فيضفي على الحُسْن شيئاً من الصقل والملاسة؛ تخليصاً له من كلِّ ما هو نابٍ أو متنافر..

وفي حروفها: «**الحاء**» هنا للعاطفة الجميلة والحرارة، و«**السِّين**» للحركة والرَّشاقة والمَلَاسة، و«**النون**» للرِّقَّة والأناقة.. وهكذا جمع الحُسْن إلى نفسه أجمل الأصوات ذبذبة، وأعذبها جرساً، وأوحاها بمشاعر الحُبِّ والحنين إيقاعاً، وأكثرها دفئاً ورشاقة ورقَّة وأناقة، في تناغُمٍ صوتيٍّ وتوافقٍ معنويٍّ، ممَّا لم يتوافر لأية لفظة أخرى؛ ليشعَّ الحُسْن بذلك إشعاعاً من هذه اللفظة دونما حاجة إلى أيِّ تفسير أو تأويل آخر، وقد وردتْ هذه اللفظة ومشتقاتها في مائة وثمانية وثمانين آية في القرآن الكريم قد ٱختصَّتْ المرأة بواحدةٍ منها فقط في سورة الأحزاب: ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ ﴿٥٢﴾﴾ [سُورَةُ الأَحۡزَابِ]..

وهكذا توافقتْ معاني أسرة هذه اللفظة ومقاطعُها الصَّوتية وإيحاءاتُ حروفها في تمثيل بهاء الحُسْن ومُحاكاته؛ من العاطفة والحرارة والحركة والرِّقَّة والملاسة[١٣١]..

❖ و«**الفرح**» هو السُّرور والابتهاج[١٣٢].. ومن أفراد أسرتها اللغوية: **فرح فلانٌ فرحاً**: رضي، **وفرح بكذا**: سُرَّ وٱبتهج[١٣٣].. ومن مقاطعها الصَّوتية والبنائية: «**ف ر**» من: «**ف ر ر**» **فرَّاً وفراراً**: هرب، **وفرَّ الأمرَ وعنه**: بحث ليكشفه، **وٱفترَّ البرقُ**: تلألأ، **والفرَّاء من النساء**: الحسناء الثغر، **وفرَّ الدابة**: كشف عن أسنانها؛ لينظر ما سنُّها[١٣٤].. و«**ف ح**» من: **فحَّت الأفعى**: صوَّتت من فيها، **وفحَّة الفلفل**: حِدَّته وحرارته[١٣٥].. و«**ر ح**» من: «**ر ح ح**» **الفرس**: ٱتسع حافره، **والرَّحراح**: الواسع المنبسط[١٣٦].. وهذه المقاطع تضفي على مفهوم الفرح معاني الانفتاح والانكشاف «**ف ر**»، والحرارة «**ف ح**»، والسعة والانبساط «**ر ح**» بما يتوافق مع المعنى اللغويِّ للفرح.. وفي حروفها: «**الفاء**» للانفتاح، و«**الراء**» للتحرُّك، و«**الحاء**» هنا للعواطف الإيجابية والإحاطة..

و«**الفرح**» بحَسْب معاني هذه الحروف هو حالة نفسية منفتحة – للفاء – مُتحرِّكة – للراء – تكتنفها حرارة العواطف الإيجابية – للحاء – ممَّا يتوافق مع المعنى النَّفسيِّ للفرح.. وهكذا ما من لفظةٍ في الدنيا تُضاهيها في التَّعبير عن حالة الضياع النَّفسيِّ التي يحياها الإنسانُ الفَرِحُ: ٱنفتاح مشاعر بلا حدود – للفاء – وحركة في النَّفس بلا قيود – للراء – وحرارة تُؤجِّج العواطف بلا ضوابط – للحاء – ..

وهكذا توافقتْ معاني أسرة هذه اللفظة ومقاطعُها الصَّوتية وإيحاءاتُ حروفها في تمثيل مشاعر الفرح ومُحاكاتها؛ من الحركة والإحاطة والحرارة..

وكما أدانت اللغة العربية حالة الفرح بغير ضابطٍ وٱنتقدتْها في الإنسان؛ فقد أدانها القرآن كذلك – جرياً على سَنَن كلام العرب – في ٱثنتين وثلاثين آية بكلِّ ما يتعلَّق بأمور الدُّنيا؛ كما في قوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾﴾ [سُورَةُ القَصَصِ]؛ لتقتصر براءتها ومشروعيتها على ما يتعلَّق منها بالإيمان في ثلاث آيات فقط، قال ﷻ: ﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴿١٧٠﴾﴾ [سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ][١٣٧]..

❖ و«**الخبث**» لغة يعني: الفساد والرَّداءة، يقال: **خبُث الشيءُ**؛ إذا صار فاسداً، رديئاً، مكروهاً، **والخِبْثة**: الحرام، **المَخْبَثة**: المَفْسَدة[١٣٨].. فالمقطع: «**خ ب**» من: «**خ ب ب**» خباً؛ إذا خدع وغشَّ؛ فهو خِبٌّ، **وخبَّب فلانٌ فلاناً**: خدعه وأفسده[١٣٩].. والمقطع: «**خ ث**»، ومنه: **الخُثُّ**؛ وهو غُثاء السَّيل بعد أن يجفَّ ماؤه[١٤٠].. والمقطع «**ب ث**» من: «**ب ث ث**» **الشيءَ**؛ إذا فرَّقه، **والسِّرَّ**: أفشاه[١٤١].. فالمقطع الأصل للفظة هو: «**خ ب**» للخِدَاع والغشِّ، والمقطعُ الثانويُّ هو: «**خ ث**» للحثالات والقذارات والتوافه.. ففي حروفها «**الخاء**» للرَّخاوة والتَّشويه والتَّقزُّز، و«**الباء**» للحفر والبقر، و«**الثاء**» للرقة والدماثة والبعثرة..

وهكذا تبدأ ظاهرة الخبث الذَّميمة بطويَّة مجبولة على الفساد والغِشِّ، وعلى ما هو خسيسٌ وحقيرٌ لـ«**الخاء**»، ثمَّ يتمُّ الانتقال إلى الحفر ونصب الفخاخ حول الضحية لـ«**الباء**»؛ لتنتهي هذه الظاهرة بكلِّ ما هو دَمِثٌ من معسول الكلام والوعود لـ«**الثاء**»؛ وذلك ((سوقاً للحروف على سَمْت المعنى المقصود والغرض المطلوب))[١٤٢]، قال ﷻ: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ

نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ ﴿٥٨﴾ [سُورَةُ الأَعْرَافِ]، وقال ﷻ: ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ ﴿٢٦﴾ [سُورَةُ النُّورِ]..

وهكذا توافقتْ معاني أسرة اللفظة اللغوية ومقاطعُها الصَّوتية وإيحاءاتُ حروفها في تمثيل خصلة الكرم ومُحاكاتها؛ من التفريق والرِّقَّة والتقزز[١٤٣]..

❖ وكذا لفظة «**الخِدَاع**»، يقال: **خدع فلانٌ خَدْعاً**؛ إذا تخلَّق بغير خُلُقه، **وخدع الظَّبْيُ**: دخل كِناسه، **وخدع الطعامُ**: أنتن، **وخدع فلانٌ الشيء**: كتمه وأخفاه، **والخادعة**: الباب الصغير في الباب الكبير، والبيت في جوف البيت، **والمَخْدَع**: البيت الصَّغير داخل البيت الكبير.. تلك بعض المُقتطفات من أسرة هذه اللفظة اللغوية[١٤٤]..

وبالانتقال إلى تحليلها الصَّوتيِّ؛ فإنَّ المقطع الأصل للفظة هو: «**خ د**» من: «**خ د د**» **الأرضَ**؛ إذا حفرها، **والأُخدُود**: الشقُّ المستطيل في الأرض، **والخُدَّة**: الحفرة[١٤٥].. والمقطعان الثانويان هما: «**خ ع**» من: «**خ ع ع**» **الفهدُ**: صاح من حلقه إذا أنبهر في عَدْوه[١٤٦]، و«**د ع**» من: «**د ع ع**» **فلانٌ فلاناً**؛ إذا دفعه دفعاً عنيفاً بجفوة[١٤٧]؛ لتكون مُحصِّلة معاني مقطعي «**خ د**» «**د ع**»: أن يحفر أحدُهُم حُفرة، ثم يدفع شخصاً آخر بقوَّة وجفوة ليوقعه فيها[١٤٨].. وهذا المعنى هو الأكثر توافقاً مع المفهوم الحقوقيِّ والأخلاقيِّ للخداع مما جاء في أسرتها اللغوية؛ فمُجرَّد أن يتخلَّق إنسانٌ ما بغير خُلُقه إذا لم يكن لغرضٍ مُعيَّن من إلحاق الأذى بالآخرين؛ لا تتوافر فيه شروط مفهوم الخِدَاع.. فالناس إذا عمدوا إلى إخفاء عاهاتهم الجسدية، أو ستر عيوبهم النفسية، وتطبَّعوا بأحسن المزايا؛ لا يُعدُّ ذلك في حدِّ ذاته خِدَاعاً منهم، قال ﷻ: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۖ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ [سُورَةُ البَقَرَةِ]، وقال ﷻ: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓا۟ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ [سُورَةُ الأَنفَالِ]..

فمن مقاطع تلك اللفظة الصَّوتية والبنائية المُوحية بدقَّة بدلالتها: «**الخاء**» للعيوب النفسية والأخلاقية، و«**الدال**» للشِّدَّة، و«**العين**» للفعَّالية.. وهكذا؛ فإنَّ المعاني السابقة تضفي على الخِدَاع شيئاً من الشِّدَّة والفعَّالية؛ مما يُؤكِّد أن المُخادِع يتحلَّى بقدراتٍ ذهنية مُتميِّزة، وهمَّةٍ

وعزيمة عاليتين، وأنه ليس مُجرَّد خائنٍ خَسِيسٍ، أو منافق ضعيف، أو خبيث مُتزلِّف؛ ولهذا السبب قيل: «**الحربُ خُدعة**»!!

وهكذا توافقتْ معاني أسرة اللفظة اللغوية ومقاطعُها الصَّوتية وإيحاءاتُ حروفها في تمثيل صفة الخِدَاع ومُحاكاتها؛ من الحفر والدَّعِّ بجفوة وعُنف(١٤٩)..

❖ وكذا لفظة «**الحسد**»؛ فمن أفراد أسرتها اللغوية: قولنا: **حسده**؛ إذا تمنَّى أن تتحوَّل إليه نعمته، أو أن يسلبها منه، أو يسعى في إزالتها(١٥٠).. ومن مقاطعها الصَّوتية والبنائية: «**ح س**» من: «**ح س س**» **الشيءَ حسًّا**: ٱستأصله، **وٱنحسَّ**: ٱنقطع(١٥١).. و«**ح د**» من: «**ح د د**» **السيف حدَّة**؛ إذا صار قاطعاً، **وأمرٌ حَدَدٌ**: مُمتنعٌ باطل(١٥٢).. و«**س د**» من: «**س د د**» **الشيءَ سداً**: أغلق خلله وردم ثلمه، **وتسدَّد وٱستدَّ**: ٱستقام وٱنتظم، **والسَّدُّ**: ما يسُدُّ مياه الوادي من حجارة(١٥٣)..

هذا، ويُمكنُ ٱعتمادُ «**ح س س**» للاستئصال والقطع أصلاً ومادَّة للحَسَد بمعنى: سَلْب المحسود، والدَّال للشَّدِّ.. كما يُمكنُ ٱعتماد مقطع «**س د د**» أصلاً ومادَّة لها بمعنى: تحويل النِّعمة من المحسود إلى الحاسد، وقد أُلحقت الحاء العاطفية للمشاعر السَّلبية.. أما في حروفها؛ فـ«**الحاء**» للعاطفة السَّلبية والإحاطة، و«**السين**» للمسير والخفاء، و«**الدَّال**» للشِّدَّة.. وهكذا تضفي حروفُ هذه اللفظة ومقاطعُها على مفهوم «**الحسد**» مشاعر إنسانية سلبية لا تقفُ عند حدود التَّمنِّي؛ بلْ تتعدَّاه إلى السَّعي الخفيِّ لاستئصال النِّعمة من المحسود «**ح س**»، أو لتحويل النِّعمة عن صاحبها إليه «**س د**»، قال ﷻ: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ ﴿٥٤﴾﴾ [سُورَةُ النِّسَآءِ]، وقال ﷻ: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾ [سُورَةُ الْفَلَقِ]..

وهكذا توافقتْ معاني أسرة اللفظة اللغوية ومقاطعُها الصَّوتية وإيحاءاتُ حروفها في تمثيل صفة الحسد ومُحاكاتها؛ من ٱستئصال وسَلْبٍ وردم(١٥٤)..

❖ و«**السرقة**» شرعاً: هي أخذ مالٍ مُعيَّن المقدار غير مملوك للآخذ من حرزٍ مثله خفية(١٥٥).. فمن أفراد أسرتها اللغوية: **سرقه**؛ بمعنى: أخذ ماله خفية، **وسرق صوتُه**: بحَّ، **وسرق الشيءُ**: خفي(١٥٦).. ومن مقاطعها الصَّوتية والبنائية: «**س ر**» من: «**س ر ر**» **الخبرُ فلاناً**

سُرُوراً ومَسَرَّة: أفرحه، **وسرَّ الشيءَ سرّاً**: كتمه، **والسَّريرة**: ما يُكتم ويُسرُّ[١٥٧].. و«**ر ق**» من: «**ر ق ق**» **فلانٌ فلاناً**؛ إذا جعله رقيقاً، **ورقَّ له**: رحمه، وخضع وذلَّ له[١٥٨]..

والمقطعُ الأصْل لـ«**س ر ق**» هو «**س ر**» للخفاء، وأُلحِقَتِ القاف به للقوَّة والمقاومة؛ بمعنى أنَّ السرقة وإنْ كانت تعتمد التَّلصُّص والتَّستُّر والخفاء ٱبتداء؛ فإنها تعتمد القوَّة ٱنتهاءً في الكسر والخلع، وربَّما القتل!! وفي حروفها: «**السين**» للمسير، تُضاهي سعي اللِّصِّ تصيُّداً للفرص، و«**الراء**» للتحرُّك والتأوُّد ذات اليمين وذات الشمال والتكرار، تُضاهي واقعة التلصُّص والمُراقبة تمهيداً للجُرم، و«**القاف**» للقوَّة والمقاومة، تُضاهي نهاية الحدث بالإقدام على ٱنتزاع المال من حرزه بقوَّة؛ وذلك ((سوقاً للحروف على سَمْت المعنى المقصود والغرض المطلوب))[١٥٩]، قال ﷻ: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾﴾ [سُورَةُ المَائِدَة]، وقال ﷻ: ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [سُورَةُ يُوسُفَ]..

وهكذا توافقتْ معاني أسرة اللفظة ومقاطعُها الصَّوتية وإيحاءاتُ حروفها في تمثيل حادثة السرقة ومُحاكاتها؛ من خفاءٍ وتحرُّكٍ وتكرارٍ وقوَّة[١٦٠]..

❖ وما قيل عن مثيلاتها؛ يُقالُ عن لفظة «**البخل**»، مع مُراعاة ما تمتاز به من خصائص بنيوية وصوتية.. فمن أفراد أسرتها اللغوية: **بخل** - بكسر الخاء وضمِّها - : ضنَّ بما عنده ولم يَجُدْ به[١٦١].. ومن مقاطعها الصَّوتية والبنائية: «**ب ل**» من: «**ب ل ل**» **من مرضه**؛ إذا برئ وصحَّ، **وبلَّ بالأمر**: ظفر به[١٦٢].. و«**خ ل**» من: «**خ ل ل**» **الشيءُ**؛ إذا صار فيه خللٌ، **وخلَّ فلانٌ**: ٱفتقر وٱحتاج[١٦٣].. فالمقطع الأصل للفظة هو: «**خ ل**» للافتقار والاحتياج، وقد أُلحِقَت الباء في أوَّله؛ وهي هنا للبيان والظهور..

وهكذا، فإنَّ إعلان الفقر والاحتياج هو الشرط اللَّازم والكافي لتحقيق مفهوم البُخل؛ ومعنى ذلك أنَّ مُجرَّد تظاهر الإنسان بالفقر والاحتياج كافٍ لاتهامه بالبخل، وبالمقابل؛ فإنَّ من يمنع الحاجة عن سائلها والمُستحقِّ لها لا يقال عنه بخيلٌ ما لم يُعلِنْ فقره وٱحتياجه؛ وإنما يُقالُ عنه: «**مُقتر**»، أو «**شحيح**»، أو «**ضنين**»!! وفي حروف اللفظة: «**الباء**» للظهور والبيان، و«**الخاء**» للخسَّة والرَّخاوة، و«**اللام**» للتَّعلُّق والالتصاق، قال ﷻ: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ

بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ ﴿١٨٠﴾ [سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ]، وقال ﷻ: ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ ﴿٣٨﴾ [سُورَةُ مُحَمَّدٍ]..

وهكذا توافقتْ معاني أسرة اللفظة ومقاطعُها الصَّوتية وإيحاءاتُ حروفها ومعانيها في تمثيل صفة البُخل ومُحاكاتها، كما كشفتْ عن حقيقة مفهوم تلك الصِّفة الذميمة؛ من العلنية - للباء - والخسَّة - للخاء - وإمساك اليد والتعلُّق بالحاجة موضوع المسألة - للام[١٦٤] - ..

❖ وكذا؛ فإنَّ «**الفحش**» لغة هو: القبيح الشنيع من قولٍ أو فعلٍ.. يقال: **فحش القولُ فحشاً**: ٱشتدَّ قبحه، **وفحش الأمرُ**: جاوز حدَّه.. ومن أفراد الأسرة اللغوية لهذه اللفظة: **فحش، وتفاحش، وتفحَّش، والفاحشة، والفحشاء**.. كلُّها للشناعة والقبح قولاً أو عملاً[١٦٥].. ومن مقاطعها الصَّوتية والبنائية: «**ف ح**» من: **فحَّت الأفعى**؛ إذا صوَّتتْ من فيها، **وفحَّة الفلفل**: حدَّته وحرارته[١٦٦].. والمقطع: «**ف ش**» من: «**ف ش ش**»؛ بمعنى: نفخ قليلاً، **والفشُّ**: الأحمق، **الفشوش**: المفتخر بالباطل[١٦٧].. والمقطع: «**ح ش**» من: «**ح ش ش**» **الشيءُ**؛ إذا جفَّ ويبس، **وحشَّ الحربَ**: أضرم نارها، **والحشيش**: ما يبس من الكلأ[١٦٨]..

وهكذا؛ فإنَّ المقطع الأصل هو: «**ف ح**» لما يُماثل فحيحَ الأفعى من القول قبحاً وشناعة.. والمقطع الثانويُّ هو: «**ف ش**» لما ينتج عن الحمق والبطلان من الأعمال الشنيعة والقبيحة.. وفي حروفها: «**الفاء**» للانفراج والاتساع، و«**الحاء**» للعاطفة - وهي هنا سلبية - و«**الشين**» في نهاية اللفظة للتفاهة والتَّفشِّي؛ وبذا ينطوي مفهوم الفحش على ٱنفراج العواطف السلبية عن الشناعة والقبح والتفاهة والجفاء بأكثر ما يكون من الانتشار، قال ﷻ: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ [سُورَةُ الأَعْرَافِ]، وقال ﷻ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ [سُورَةُ الإِسْرَاءِ]..

وهكذا توافقتْ معاني أسرة اللفظة اللغوية ومقاطعُها الصَّوتية وإيحاءاتُ حروفها في تمثيل خصلة الكرم ومُحاكاتها؛ من التَّفشِّي والتفريق والرِّقَّة والتقزُّز[١٦٩]..

مِمَّا تقدَّم من الأمثلة التي ٱنتقيتُها وٱستعرضتُها آنفاً – وأعرضتُ عن كثير غيرِهَا؛ وإلا كان العملُ مُحوجاً إلى مُجلَّداتٍ طوال – نغدو في حالة يقينٍ لا يُساورُها شكٌّ، ولا يطعن فيها مُشكِّكٌ من أنَّ عملية ٱستنباط المعاني الفطرية والدلالات الحسِّيَّة للألفاظ العربية بالرُّجوع إلى أُسرها ومقاطعها البنائية، وإيحاءات حروفها وخصائصها الصَّوتية ذاتُ أثر بالغ في الإحاطة بما وُضِعَتْ له من معانٍ ومرامٍ، وما دلَّتْ عليه من أبعادٍ وغايات، وأنها والدلالات اللغوية المُعجمية بعضها آخذٌ بعناق بعض، يُكمِّله ويكتملُ به.. وما قيل عن الأفعال والمصادر أعلاه يقالُ عن باقي أفعال العربية وكلماتها ومصادرها قاطبة..

كما نتبيَّن – من خلال ما ٱستعرضناه من الآمثلة – الصِّلة الوثقى بين علمي «**الصَّوت**»، و«**الصَّرف**»؛ إذ ليس من المُمكن دراسة بنية الكلمة من دون دراسة أصواتها ومقاطعها وعلاقة الصوامت «**الحروف** – Letters, Characters» بالحركات «**الصَّوائت** – Vowels»؛ لأنَّ كلَّ تغيُّر تتعرَّض له هذه البنية اللغوية إنما ينشأ عن تفاعل عناصرها الصَّوتية أثناء المُمارسة الكلامية على مستوى الأفراد الناطقين باللغة.. فعلمُ الصَّرف تابعٌ لعلم الأصوات وقائم عليه، ولا صرف بلا أصوات، ولا يُمكنُ الفصل بينهما في الدراسة إلا لأغراض منهجية[١٧٠]..

إنَّ العلاقة بين النِّظامين الصَّوتيِّ والصَّرفيِّ في أية لغةٍ علاقةٌ متينة؛ لأنَّ أغلب الموضوعات الصَّرفية قائمة على قوانين صوتية بحتة؛ فلا يُمكنُ دراسة بنية الكلمة وما فيها من تحوُّلاتٍ وتبدُّلاتٍ من دون دراسة أصواتها ومقاطعها وحركاتها؛ لأنَّ أيَّ تغيُّرٍ يطرأ على بنيتها من إعلالٍ وإبدالٍ إنما يتولَّد عن التأثير الصَّوتيِّ المُتبادل في الاستعمال اللغويِّ المُتعارف عليه في كلِّ لغة[١٧١].. ومن ثَمَّ دعا علماءُ اللغة المُحدثون إلى ((وضع منهج مُتكامل للدَّرس اللغويِّ، ٱبتداءً من الأصوات، إلى الصِّيغ، إلى التراكيب، مُرُوراً بكلِّ مُستويات البحث))[١٧٢]..

المبحث الثالث

التلوينات الصوتية وموسيقى الألفاظ المفردة ورجع أصدائها على رسم الأحداث وتصوير المشاهد

إذا ما عرفنا مدى العلاقة الحميمة بين النظامين الصَّوتيِّ والصَّرفيِّ؛ فسنعرف حتماً حينها بأنَّ ((الحروف الهجائية إليها تُحلَّل الكلماتُ اللغوية، فما من لغةٍ في الأرض إلا وأرجعها أهلُها إلى حروفها الأصلية، سواءٌ أكانت اللغة العربية أم اللغات الأعجمية، شرقية وغربية؛ فلا صرف، ولا إملاء، ولا ٱشتقاق.. إلا بتحليل الكلمات إلى حروفها، ولا سبيل لتعليم لغة

وفهمها إلا بتحليلها، وهذا هو القانون المسنون في سائر العلوم والفنون))[١٧٣].. ((وهل اللُّغات والتَّعبيرات الكلامية إلا رُمُوزٌ ٱصطلاحية يستعملها الناس، فإذا وجدْناهم قد ٱستعملوها في كلامهم للدلالة على ما يقصدون من معانٍ، وحصل فيما بينهم التَّفاهُمُ بها؛ كانتْ من عناصر لغاتهم لا محالة، ولا داعيَ لإدخال الرأي في الأمور الخاضعة لما يصطلحُ عليه الناس))[١٧٤]..

وفي هذا السياق يقول الشيخ عبد القاهر الجرجاني رحمه الله (ت٤٧١هـ) رائد نظرية «**النظم**» بأبهى حُللها: ((إنَّ الألفاظ المفردة التي هي أوضاع اللغة لم توضعْ لتُعرف معانيها في أنفسها؛ ولكنْ لأنْ يُضمَّ بعضُها إلى بعض؛ فيُعرف فيما بينها فوائدُ.. وهذا علمٌ شريف، وأصلٌ عظيم))[١٧٥].. وعليه؛ فإنَّ مهمة الكلمات المفردة في العربية لم تقتصرْ - منذ نشأتها - على وظيفة الإشارة «**التسمية**» فقط؛ بلْ كان الاضطلاعُ بوظائف الإخبار «**الاتصال**» واحداً من أجلِّ مهامها[١٧٦]..

هذا من حيثُ النظم.. أما من حيث المفهوم العامِّ للبلاغة؛ فإنها - أعني البلاغة - تصلُحُ أن تكون صفةً للكلمة وهي مفردة، وصفة لها وهي مُؤلَّفة أو منظومة في تركيب مفيد؛ فبلاغتُها وهي مفردة جمالٌ ذاتيٌّ؛ فتمَّ بذلك جمالٌ للكلمة مُنبجسٌ من أعماق وضعها اللغويِّ وبنائها الذاتيِّ الذينِ يمنحانِها كلَّ هذا الرنين المُوسيقيِّ والبعد الصوتيِّ؛ أي إنَّ ألفاظاً كهذه تعتمد قوة الجرس الذاتية في بنائها اللفظيِّ أداة للتعبير والإيحاء.. أما بلاغتُها وهي في سلك الجُملة أو التركيب؛ فنابعةٌ من حُسن ٱستغلال هذا الجمال الذاتيِّ بحُسن ٱختيار المكان المُلائم والتناسق والتنسيق فيما بينها وبين جاراتها؛ فتمَّ بذلك جمالٌ للكلمة لا يعلن عن نفسه إلا والكلمة في أطارٍ متناسق.. وهذا ما عبَّر عنه شيخُ البلاغيين الجرجانيُّ رحمه الله؛ مُسدِلاً السِّتارَ على كلِّ طاقات الكلمة وهي في حال تعايشٍ أخَّاذٍ مع جارتها[١٧٧]..

هذا، وقد ٱمتازت اللغة العربية بالمُوسيقية؛ فجميعُ ألفاظها ترجع إلى نماذج من الأوزان المُوسيقية الثابتة، والكلام العربي نثراً كان أم شعراً هو مجموعٌ من الأوزان، ولا يخرج عن أن يكون تركيباً معيناً لنماذج مُوسيقية.. وقد ٱستثمر الشعراء والكتاب العرب هذه الخاصِّيَّة المُوسيقية؛ فقابلوا بين نغمة الكلام وموضوعه مقابلة لها أثرٌ واضح من الوجهة الفنية.. فمثلاً يقول النابغة الذبياني:

ميلوا إلى الدار من ليلى نُحيِّيها نعم، ونسألها عن بعض أهليها

إذ ينقلك إلى جوٍّ عاشق يهيم ويتأمل وتهفو نفسه برِقَّةٍ وحنان إلى آثار الحبيب؛ بما في البيت من نعومة الحروف، وكثرة المدود، وحسن توزُّعها، وجمال تركيب الألفاظ!!

ويقول البُحتُريُّ متحدثاً عن الذئب:

عوى ثم أقعى فارتجزت فهجته فأقبل مثل البرق يتبعه الرعد

إذ ينقل تتابع حركات الذئب السريع في ألفاظٍ قصيرة الأوزان، متوالية الحركات كحركات الموصوف!!

لقد شغف العرب منذ العهد الأول بمُوسيقى الألفاظ، واجتهدوا في تخليصها ممَّا يُفقِدُها التلاؤم أو التكافؤ بين حروفها وحركاتها، كما حرصوا الحرصَ كلَّه على مُوسيقى العبارات، واهتموا بانسجام الكلمات في داخلها من الناحية الصَّوتية؛ بحيث تُؤلِّف بمجموعها نَغَماً تشنَّف به المسامع، وتطرب له الآذان، وتقبل عليه النفوس والأفئدة!!

إنَّ هذا التَّلذُّذ الذَّوقيَّ في اللغة من حُسْن جرس الألفاظ، وإيقاعها، ورنينها، ولحنها المُوسيقيِّ.. كان دأباً وديدناً للعرب منذ عهدٍ سحيق؛ ففيما قبل الإسلام كان الخطيبُ إلى جانب الشاعر في حُظوةٍ ومقامٍ عظيم لا يُضاهيه أيُّ مكان آخر، مُعتلياً عرشاً من الرِّفعة والسُّمُوق، ومُتوَّجاً على إمارة مملكةٍ من البيان بما أوتي من الحكمة وفصل الخطاب، وكان - بلا مُنافسٍ ولا مُضاهٍ - صاحبَ الكلمة العليا في القبيلة!! وما مُعلَّقاتُ فحول شعراء الجاهلية التي سُطِرَتْ بماء الذهب، وعُلِّقتْ بوقارٍ على أستار الكعبة إلا شاهدٌ حيٌّ على هذا الوله اللَّامُتناهي!!

وكان البيان القرآنيُّ الفريد - وقد أنزل على عادة العرب، وأنماط عيشهم، ومألوف بيئتهم، وأفانينهم في القول، وسَنَنهم في الخطاب، مُتحدِّياً إياهم أن يأتوا بسورةٍ من مثله ولو كان بعضهم لبعضٍ ظهيراً - كان قد اهتمَّ هو الآخر بمُوسيقى اللفظة، وحرص أشدَّ الحرص وأبلغه على تحقيقها؛ فوافق ذلك هوىً لدى العرب ذوي الأحاسيس الرقيقة المرهفة، والأرواح المتسامية الهفهافة، والنفوس التَّوَّاقة الدَّوَّاقة.. وبذا قضى لأذواقهم الشفيفة وَطَراً وهم المُولَعون بسحر الكلمة، الناشدون لخفَّتها وعذوبة وقعها!! وحين مَرَنوا على صناعة المنثور والمنظوم،

ورَشَحَتْ أقدامُهم فيها؛ كان أحبَّ شيء إلى نفوسهم أن تصدر عنهم العبارات المُتناغمة التي تتعادل وحداتها الصَّوتية، وتتوافق من حيث الأوزان[١٧٨]..

لقد بلغتْ هذه الخاصِّيَّة المُوسيقية ذِرْوتها في التركيب القرآنيِّ؛ فأنت تُحِسُّ - مثلاً في سُورة العاديات - عدو الخيل ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ۝١ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ۝٢ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۝٣ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ۝٤ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ۝٥﴾ [سُورَةُ العَادِيَاتِ]!!

وتتنوَّع مجالاتُ الأوتار الصَّوتية والأنغام المُوسيقية في القرآن المجيد بتنوُّع المجالات التي تتطرَّق إليها وتعدُّد المشاكل والقضايا التي تُعالجُها - وما أكثَرَها!! - فحينما نسمع قوله ﷻ: ﴿۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ۝٣٦﴾ [سُورَةُ المُؤْمِنُونَ]؛ فسُرعانَ ما نستشفُّ جرساً إيحائياً توصي من خلاله دلالة تلك الأصوات التي تصُكُّ الأسماع بلغة الموعظة والوعيد؛ فتخشع لها القلوب، وتَهَشُّ لها النفوس، وتخضع لها الألباب، وتقشعرُّ منها الأبدان ثم تلين، وتتحسَّس منها الأفئدة!!

أمَّا في مجال الخشية والرَّهبة؛ فقد قال ﷻ: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ۝١٠٨﴾ [سُورَةُ طٰهٰ].. وهذا مُتأتٍّ من الحالة النفسية التي يشعر بدلالتها المسلمون بعد نزول هذه الآية وهي تخاطبهم بهذه الأصوات المُوحية بالتَّواري والاستتار، والتي أخجلتْهم حين سماعها، وتركتْ فيهم من الأثر النَّفسيِّ المقدار العميق[١٧٩]..

و((في بعض مواقف الدُّعاء القرآنية نداوةٌ ولينٌ[١٨٠]، وفي بعضها الآخر صخبٌ رهيب!! ها هو ذا نوح عليه السلام يدأب ليلاً ونهاراً على دعوة قومه إلى الحقِّ، ويُصِرُّ على نُصحهم سراً وعلانية، وهم يلجُّون في كفرهم وعنادهم، ويفرُّون من الهدى فراراً، ولا يزدادون إلا ضلالاً واستكباراً..

فما على نوحٍ - وقد أيس منهم - إلا أن يتملَّكه الغيظ، ويمتلئ فوه بكلمات الدُّعاء الثائرة الغضبى تنطلق في الوجوه مديدة مُجلجلة بمُوسيقاها الرَّهيبة، وإيقاعها العنيف، وما أظنُّك تتخيَّل الجبال إلا دكَّاً، والسماء إلا مُتجهِّمة عابسة، والأرض إلا مُهتزَّة مزلزلة، والبحار إلى هائجة ثائرة، حين دعا نوح عليه السلام على قومه بالهلاك والتبار وقال: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ

ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرۡهُمۡ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِىَ مُؤۡمِنًا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٢٨﴾ [سُورَةُ نُوحٍ]!!

أما الحناجر الكظيمة المكبوتة التي يتركها القرآن في بعض مشاهده تطلق أصواتها الحبيسة بكلِّ كربها وضيقها وبحَّتها وحشرجتها؛ فهي حناجر الكافرين النادمين يوم الحساب العسير.. ولنا الآن أن نتمثَّل شِرْذِمةً من أولئك المجرمين تلفح وجوههم النار؛ فيتحسَّرون، ويحاولون التنفيس عن كَرْبهم ببعض الأصوات المُتقطِّعة المُتهدِّجة؛ كأنهم بها يتخفَّفون من أثقالٍ تنقض ظهورهم، ويُفرِغون عن طريقها ما يعانون من عذابٍ أليم كما يُفرِغ الموسومُ سوءَ العذاب آهاتِهِ وأنينَه، وإذا هم يوم الدِّين يدعون ربَّهم دُعاء التائبين النادمين ويقولون: ﴿... يَٰلَيۡتَنَآ أَطَعۡنَا ٱللَّهَ وَأَطَعۡنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمۡ ضِعۡفَيۡنِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ وَٱلۡعَنۡهُمۡ لَعۡنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾ [سُورَةُ الأَحْزَابِ]!!))[١٨١]..

وفي وصفٍ صوتيٍّ فريدٍ لحال المنافقين وما هم عليه من اللَّجلجة والذَّبذبة والتَّردُّد ذهاباً وإياباً، وٱرتفاعاً وٱنخفاضاً بين فريق المؤمنين وفريق الكافرين، طفق القرآن الكريم يشجونا بأوتاره المُوسيقية العذبة، راسماً ببضع كلماتٍ مُعجزة صورة واقعية أمينة تَكِلُّ عن رسمها الأسفارُ، وتنوء في تصويرها المُجلَّدات.. قال ﷻ: ﴿مُّذَبۡذَبِينَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰٓ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ ﴿١٤٣﴾ [سُورَةُ النِّسَاءِ]، ولا أدري بأيِّهما أبدأُ أم إلى أيِّهما ألتفتُ، إلى لفظ الذَّبذبة وما فيه من تكريرٍ دالٍّ على عَمَههم وحَيْرتهم وٱضطرابهم أم إلى المدود المتوالية الصَّاعدة في نبرتها تارة، والنازلة أخرى، كأنها مُخططٌ لرسمٍ رياضيٍّ بيانيٍّ؛ راسمة موقف اللَّاموقف لَمْنْ ليس لديه موقفٌ من المنافقين وكلِّ إمَّعةٍ على شاكلتهم!!

وقال ﷻ: ﴿وَإِنَّ أَوۡهَنَ ٱلۡبُيُوتِ لَبَيۡتُ ٱلۡعَنكَبُوتِۖ لَوۡ كَانُوا۟ يَعۡلَمُونَ ﴿٤١﴾ [سُورَةُ العَنْكَبُوتِ]؛ إذ ٱستعمل القرآن الكريم لفظة «**أوهن**» دون «**أوهى**» لتُحدِثَ واقعاً خاصَّاً ووقعاً مُؤثِّراً يُشعِرُ بالضَّعف المُتناهي؛ وذلك لما يُفرِزُهُ أقصى الحلق من ٱلتصاقٍ وغُنَّة لا تتأتى بضمِّ الألف المقصورة إليها صوتياً «**أوهى**»!! وحينئذٍ تبلغ اللفظة الأسماع، وتصُكُّ الآذان، حاملةً معها لوناً باهتاً للعجز مُؤكَّداً بضمِّ هذه النون.. وهذا كلُّه إنما كان بتأثيرٍ مباشر من دلالة اللفظ

وإيحائه الصَّوتيِّ؛ إذ أحدثتْ فيه النونُ – وهي من الصَّوامت الأنفية – صدىً وإيقاعاً، وأضفتْ إليه جرساً ورنيناً ما كانت الألف المقصورة لتُحدِثَه في حال حُلُولها محلَّ النون، وهي صوتٌ حلقيٌّ خالص لا غُنَّة معه، ولا ضغط، ولا إطباق!! وما كان هذا التشبيهُ المُعجِز ليتمَّ بهذا الشكل، أو يبلغ هذا المستوى، أو يتسنَّى له كلُّ هذا الأثر المُؤثِّر لولا هذا الانتقاءُ الصَّوتيُّ المُوفَّق للَّفظ[١٨٢]..

ولفظ «**الزحزحة**» في قوله ﷻ: ﴿وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ﴾ [سُورَةُ البَقَرَة]، وقوله ﷻ: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ] يُوحي للسامع بصوته صورة الزَّحزحة المعروفة كاملةً مُتحرِّكة عبر لفظةٍ مُفردةٍ مُوحية مُعبِّرة!! فـ((صوتُ ﴿زُحْزِحَ﴾ أبلغ من «**زُحَّ**»؛ لِمَا فيه من التكرار.. وفيه تصويرٌ لمعنى تراجع الخطى أن تتزلَّف القوم؛ فيهوي صاحبُها في النار؛ إذ إنَّ في تكرير صوتي «**الزاي**»، و«**الحاء**» إيحاءً بهذا المعنى، فالذي يُعاني من شيء ثقيل على نفسه؛ يُكرِّر مثل هذين الصَّوتين؛ ولا سيَّما «**الحاء**» الاحتكاكي المهموس!!

وقد تظهر هذه الدلالة على اللفظة وهي مُفردةٌ؛ لكنَّ التعبير القرآنيَّ – لِمَا بين ألفاظه من قوَّة ٱنسجامٍ صوتيٍّ – يجعل السمع أكثر تحسُّساً لإدراك صورة المعنى.. ففي الآية الكريمة صوتان مُتقاربان في المخرج؛ هما: «**الحاء**»، و«**العين**» في قوله ﷻ: ﴿ه ء﴾!! ويُومئ هذا التقارب – الذي يتأنى اللسان فيه بدقَّة – للَّحظة الحَرِجة للزَّحِّ والانفراج عن حافَّة الهاوية!!))[١٨٣]..

ولفظة «**إثَّاقلتم**» في قوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ [سُورَةُ التَّوْبَة] تسمعها الأذن؛ فيتصوَّر الخيالُ ذلك الجسمَ المتثاقلَ ليس بصوته؛ وإنما بتأليف حروفه، وبالبُعد الصَّوتيِّ الناتج من خلال هذه الحروف المُتثاقلة.. ولو أنك قلتَ: «**تثاقلتم**»؛ لخفَّ الجرس، ولضاع أثر التشرُّد، ولتوارت الصُّورة المطلوبة التي ٱشتغل اللفظ برَسْمها.. وعلى ما في كلمة ﴿ٱثَّاقَلْتُمْ﴾ من صعوبةٍ واضحة في النُّطق، وثقلٍ بيِّنٍ على السامع لا يحسهما الإنسان في الكلمة الأخرى «**تثاقلتم**»؛ لكن الأُولى بتشكيلها الصَّوتيِّ ضروريةٌ في موطنها الذي وردتْ فيه!!

ولفظة أخرى طويلة في حروفها؛ لكنَّها جميلةٌ بصوتها، مُنسابةٌ بتسلسُل حروفها؛ كما في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿گ گگ گ گ گ گ﴾ [□ ك]، وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ ٨٠﴾ [سُورَةُ الأَنْعَامِ]، وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَكُبۡكِبُواْ فِيهَا هُمۡ وَٱلۡغَاوُۥنَ ٩٤﴾ [سُورَةُ الشُّعَرَاءِ]... فكلمة ﴿فَكُبۡكِبُواْ﴾ كأخواتها يُحدِثُ جرسُها صوتَ الحركة التي تتمُّ بها، ويُصوِّرها للسامع أدقَّ تصويرٍ وأتمَّه وأوفاه!!

لقد حفل القرآن الكريم بهذه الظاهرة الصَّوتية، وكان لها أثر مباشر وكبير في الدلالات المعجمية لألفاظه، وفي المعنى العامِّ للتعبير؛ إذ نراه ((يستعملُ الألفاظ ذات الجرس المُوسيقيِّ الناعم الرَّخيِّ، والسَّلِسِ المُوحي في المواضع التي يشيع فيها جوٌّ من الحياة الهانئة السعيدة الجميلة... ويبدو العكس في مواضع كثيرة أخرى؛ إذ قد تتَّسم المُوسيقى بالقوَّة والشِّدَّة المُناسبة للمعنى الذي أراد تصويره وبيانه!!))[١٨٤]..

وبذا نجدُ من التلوينات الصَّوتية في آي الذكر الحكيم ما يتعلَّق بالحكاية الصَّوتية في جانب حكاية الصَّوت لمعناه ودلالته؛ فيتعانق الصَّوتُ مع الصورة معاً لأداء لوحةٍ دلالية غايةٍ في الجمالية والتنسيق الدلالي؛ كما في الألفاظ: ﴿حَصۡحَصَ﴾، و﴿زُحۡزِحَ﴾، و﴿زُلۡزِلَتِ﴾، و﴿صَرۡصَرٍ﴾، و﴿فَكُبۡكِبُواْ﴾، و﴿ٱللُّؤۡلُؤُ﴾، و﴿مُّذَبۡذَبِينَ﴾؛ وبذا ((أسهمت التلويناتُ الصَّوتية بشكلٍ واضح ومُميَّز في عملية انتقاء المفردة القرآنية في السياقات الجزئية والكلِّيَّة؛ وذلك من حيث إبراز القيمة الصَّوتية لهذه المفردة أو تلك في ائتلاف أصواتها، وأداء دلالاتها.. وهذا الانتقاءُ الدَّقيق يُراعى فيه فنِّيَّة التعادل الصَّوتيِّ للمفردة وتعاضُدها بشكلٍ دقيق مع نظائرها السَّابقة واللَّاحقة في إطار السياق المُوظَّفة فيه.. كما إنَّ توظيف الكلمات المُؤلَّفة من أحرفٍ كثيرة ممَّا يُستثقل في النَّصِّ البشري قد تمَّ توظيفها بشكلٍ فريد حين عانقت التلوين الصَّوتيَّ في السياق القرآني؛ فبرزتْ هذه الكلماتُ القرآنية الطويلة على أتمِّ ما يكون من التوظيف، وأجمل ما يكون من الإيحاء الدَّلاليِّ، وأبهى ما يكون من النَّظم السِّياقي))[١٨٥]؛ كما في الألفاظ الكريمة: ﴿فَسَيَكۡفِيكَهُمُ﴾، و﴿ٱثَّاقَلۡتُمۡ﴾، و﴿ٱدَّارَكُواْ﴾، و﴿أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي﴾..

وهناك مقاطع صوتية أخرى عديدة مُغرقة في الطول والمدِّ والتشديد، ومع ندرة صيغ مثل تلك المُركَّبات الصَّوتية في اللغة العربية - حتى أنها لتكاد تُعدُّ بأصابع اليد - ؛ فإننا نجدُ

القرآن الكريم لم يُعدَمْ منها؛ إذ ٱستعمل في سياقاته المُعجِزة أفخمها لفظاً، وأعظمها وقعاً، وٱستوحى من دلالاتها الصَّوتية وأوضاعها اللغوية مدى حِدَّتها وشِدَّتها، أو رقَّتها وهدوئها..

ومن بين أهمِّ تلكم الألفاظ الصَّوتية المُوحية المُعبِّرة: ﴿ٱلْحَآقَّةُ﴾، و﴿ٱلطَّآمَّةُ﴾، و﴿ٱلصَّآخَّةُ﴾... وهذه الكلمات تسترعي - حين السماع - الانتباه وتشدُّه نحوها، كما تستدعي - حين الأداء - نسبة عالية من الضغط الصَّوتيِّ لأداء الإعلان والجهار المُفضي إلى سماع رنينها الإيقاعيِّ المُجلجل، والمُوحي بالكرب العظيم، والمُنبئ عن الشِّدَّة المُتناهية، والمُنذرة بالخطر الدَّاهم والهمِّ الدَّائم، وما إلى ذلك من إيحاءاتٍ ودلالاتٍ تتوافق نسبياً مع أصل أوضاعها اللغوية ومُوسيقاها المُتميِّزة بجلجلة الصَّوت وشدَّة الإيقاع.. وبمُصاقبة الشِّدَّة الصَّوتية للشِّدَّة الدلالية يستبين لنا التوافُقُ والتواشُجُ والوئام بين الصَّوت النُّطقيِّ والمعنى الحقيقي!!

فـالدلالة الصَّوتية للفظ ﴿ٱلْحَآقَّةُ﴾ في قوله ﷻ: ﴿ٱلْحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٣﴾ [سُورَةُ الحَاقَّةِ] توحي لكلِّ من يسمعها بحُضُور يوم القيامة بكلِّ ما فيه من شدائد وأهوال تجعل الولدان شيباً، وتذهل المُرضعة عمَّا أرضعتْ، وتُري ذاتَ الحَمْل وقد ألقتْ ما فيها من حَمْلٍ وتخلَّتْ، وتذر الناس في هَرْجٍ ومَوْجٍ ومَرْجٍ، لا من سُكْرٍ؛ ولكنَّ عذاب الله شديد!! يقال: حقَّت القيامة؛ إذا أحاطتْ بالخلائق؛ فهي حاقَّة[١٨٦]..

والمُلاحظ في قوله ﷻ: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ۝٣٤﴾ [سُورَةُ النَّازِعَاتِ] أنَّ صوت الطاء في لفظ ﴿ٱلطَّآمَّةُ﴾ قد فرض على سائر الآية حُضُوراً واضحاً؛ ليُعبِّر أكثر من سواه من سائر حروف اللغة عن المعنى المُراد، ويُلقي عليه ظلاله الكثيفة وصورته الدَّاكنة؛ حيث يوم القيامة بأهواله التي تُحفِّز الخلائق على الفرار إلى حيثُ لا وجهة.. ولا مفرَّ!!

ولم يكتفِ الحرف الثقيل بمُجرَّد وُرُودِهِ في الآية الكريمة؛ بلْ جاء مُشدَّداً؛ ليكون أشدَّ في التخويف والتحذير، وأبلغ في الترهيب والنذير!! وممَّا زاد من رُسُوخ المعنى: وُجُودُ صوت المدِّ؛ ليُوحي بأنَّ الطَّامَّة قد غطَّتْ كلَّ موجودٍ على هذا الكون الفسيح من سماءٍ مرفوعة، وجبالٍ منصوبة، وأرضٍ مبسوطة... فهي تأتي على ذلك كلِّه وتَطِمُّه، وهي تضمُّ بين جوانحها وتشتمل بين لابتيها كلَّ هائلة [١٨٧]!!

وما قيل عن ﴿ٱلْحَآقَّةُ﴾، و﴿ٱلطَّآمَّةُ﴾ يُقالُ - أو قريب منه - عن ﴿ٱلصَّآخَّةُ﴾ أيضاً[١٨٨]!!

ومن تلك التلوينات الصَّوتية البديعة الأخرى سوى ما تقدَّم: ما جاء في قوله ﷻ: ﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣﴾ [سُورَةُ القَارِعَة]؛ فإنَّ الكلام مُستمرٌّ في ذكر القيامة، و«**القارعة**»: البلبلة التي تقرع القلب.. وأنت تسمع لفظة «**القارعة**» تتكرَّر ثلاثَ مرَّاتٍ كأنها صوتُ الضرب بالمِقْرعة!! واشتملت اللفظة على القاف والعين؛ وهما - عند الخليل - أطلقُ الحروف وأضخمُها إيقاعاً ورنيناً[١٨٩]؛ لأنَّ المقام يقتضي جرساً عالياً يقرع بشدَّةٍ الكفر وأهله[١٩٠]..

ومنها أيضاً: لفظة ﴿مُتَشَٰكِسُونَ﴾ في قوله ﷻ: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۝٢٩﴾ [سُورَةُ الزُّمَر]؛ إذ دلَّتْ تلك اللفظة بحكم تركيبها الصوتيِّ، ونغمها المُوسيقيِّ، وإيحائها الجرسيِّ على المُخاصمة والجدل، ولا ريب أنَّ اختيارها منظورٌ فيه بعنايةٍ وقصدٍ إلى تشكيلها الصوتيِّ؛ إذ ((جُمعتْ في الكلمة حروفُ الأسنان والشَّفَة... التاء والشِّين والسِّين تعاقباً، تتخلَّلها الكاف؛ فأعطتْ هذه الحروفُ مُجتمعةً نغماً مُوسيقياً خاصاً حمَّلها أكثر من معنى الخصومة والجدل والنقاش بما أكسبها من أزيزٍ في الأذن الذي يبلغ بالسامع إلى أنَّ الخصام قد بلغ درجة الفورة والعنف من جهة، كما أحاطه بجرسٍ مهموس خاصٍّ يُؤثِّر في الحسِّ والوجدان من جهة أخرى!!))[١٩١]؛ ليُوحي بالدلالة على الحزن والأسى على هؤلاء المُتشاكسين!! وهذا الإيحاء الصَّوتيُّ مُرادٌ هنا؛ إذ ((كان البيان القرآنيُّ قد اهتمَّ بمُوسيقى العبارة، وحرص أشدَّ الحرص على تحقيقها))[١٩٢]..

ومنها أيضاً - والأمثلة والشَّواهد أكثر من أن تُحصى - : ما اشتمل عليه قوله ﷻ: ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥﴾ [سُورَةُ النَّاس]، وفي هذا السياق يقول ابن القيِّم رحمه الله: ((ولمَّا كانت الوسوسة كلاماً يُكرِّره المُوسوِسُ ويُؤكِّده عند من يُلقيه إليه؛ كرَّروا لفظها بإزاء تكرير معناها؛ فقالوا: وسوس وسوسة؛ فراعَوْا تكرير اللفظ؛ ليُفهم منه تكريرُ مُسمَّاه.. ونظيرُ هذا ما تقدَّم من مُتابعتهم حركة اللفظ بإزاء مُتابعة حركة معناه؛ كالدَّوران، والغليان، والنزوان وبابه.. ونظير ذلك: زلزل، ودكدك، وقلقل، وكبكب الشيءَ؛ لأنَّ الزلزلة حركة مُتكرِّرة، وكذلك الدَّكدكة والقلقلة، وكذلك كبكب الشيءَ؛ إذا كبَّه في مكان بعيد؛ فهو يُكبُّ فيه كبَّاً بعد كبٍّ؛ كقوله ﷻ: ﴿فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ۝٩٤﴾

[سُورَةُ الشُّعَرَاءِ]، ومثله: رضرضه؛ إذا كرَّر رضَّه مرَّة بعد مرَّة.. ومثله: ذرذره؛ إذا ذرَّه شيئاً بعد شيء، ومثله: صرصر الباب؛ إذا تكرَّر صريره، ومثله: مطمط الكلام؛ إذا مطَّه شيئاً بعد شيء، ومثله: كفكف الشيءَ؛ إذا كرَّر كفَّه.. وهو كثير))(١٩٣)..

ممَّا تقدَّم نخلُصُ إلى نتيجة مهمة، مفادُها أنَّ ((هذا القرآن – في كلِّ سورة منه وآية، وفي كلِّ مقطع منه وفقرة، وفي كلِّ مشهد منه وقصَّة، وفي كلِّ مطلع منه وختام – يمتاز بأسلوبٍ إيقاعيٍّ غنيٍّ بالمُوسيقى، مملوءٍ نغماً؛ حتى ليكونُ من الخطأ الشديد في هذا الباب أن نُفاضِلَ فيه بين سورة وأخرى، أو نُوازِنَ بين مقطعٍ ومقطع... وإنَّ هذه المُوسيقى الداخلية لتنبعثُ في القرآن حتى من اللفظة المفردة في كلِّ آية من آياته؛ فتكاد تستقلُّ – بجَرْسها ونَغَمها – بتصوير لوحةٍ كاملة فيها اللونُ زاهياً أو شاحباً [كذا]، وفيها الظِّلُّ شفيفاً أو كثيفاً [كذا](١٩٤)... فإنْ يكُ هذا كلُّه في اللفظة المفردة تُعبِّر مستقلة عن لوحةٍ كاملة، فكيف بالآية التي تتناسق في جوِّها الكلماتُ، أو في السُّورة التي تنسجم حول فكرتها جميعُ الآيات؟!!))(١٩٥)..

كلُّ ذلك يُفضي في نهاية المطاف إلى أنَّ واحداً من أهمِّ الجوانب العامَّة التي تمتاز بها بياناتُ القرآن الكريم: ((الكمالُ في ٱختيار كلِّ لفظٍ بحيث يُؤدِّي المعنى على أدقِّ وجهٍ وأوفاه بما لا يُؤدِّيه لفظ آخر.. وكذا الاختيار الدقيق للألفاظ المُترادفة بحيث تُميِّز بين أدقِّ الفروق في المعنى، وبحيث إذا ٱستُبدِلَ اللفظ بمُرادِفِهِ؛ فَقَدَ النَّصُّ عُمقَ معناه، ودقَّة تصويره، وجمالَ جرسه))(١٩٦)..

وبحَسْب ما يرى بعضُ الباحثين؛ فإنَّ أصلَ الوضع اللغويِّ وتركيبة البناء الذاتيِّ لتلك الألفاظ وأمثالها هما اللذان يمنحانِهَا كلَّ هذا الرنين المُوسيقيِّ والبُعدِ الصَّوتيِّ؛ أي إنَّ ألفاظاً كهذه تعتمد قوة الجرس الذاتية في بنائها اللفظيِّ أداةً للتعبير والإيحاء، وما ٱستعمالُ القرآن الخاصُّ لها دون سِوَاها في سياقاته المُعجِزة إلا لما ٱمتازتْ به عن غيرها من مُوسيقى ذات إيقاعٍ مُشْجٍ تهمِسُهُ السماء في أذن الأرض؛ فإذا بها قد ٱهتزَّتْ ورَبَتْ؛ تناغماً مع تلك الأوتار العذبة(١٩٧)..

المبحث الرابع
نماذج مختارة لطائفة من الأحرف المجردة والمقاطع الصوتية وما تبعثه في النفس من إيحاء عميق

سبق لي بيانُ أنَّ اللفظ المُجرَّد، بَلْهَ الرَّمز الصَّوتيَّ - مهما تمتَّع بنصيبٍ عريض وحظٍّ وافر من الوقع والجرس والمُوسيقى - عاجزٌ عن إسعافنا بما يُمكنُ من خلاله التَّعرُّف على قرائن الأحوال، أو الإعراب عن خلجات النفوس ومكنونات الضمائر؛ بلْ لا بدَّ له من ٱستعمالٍ دالٍّ؛ إذ تكتسبُ الرُّموز اللغوية قدرتها الإيحائية عن طريق الاستخدام، والكلمة أقلُّ عناصر اللغة ذات الدلالة، وليس هناك معنىً مُحدَّد لصوت السِّين، أو صوت الصَّاد، أو أيِّ صوت آخر ما لم يندرجْ ضمن كلمة دالَّة، وتندرج تلك الكلمة ضمن تركيبٍ مفيد[١٩٨]..

وكما وافق القُرآن الكريم لغة العرب في كثيرٍ من أساليب التعبير وسَنَن الخطاب وأفانين القول؛ فقد خالفها في مناسباتٍ عديدة أخرى ليستقلَّ بخصوصياتٍ كريمة يُمكنُ إدراجها في باب الإعجاز فسيح الأرجاء؛ لذا يتوجَّب علينا أن ننأى به عن كثير من جوانب التقعيد الثابتة والمُطَّرِدة لتلك اللغة، ونترفَّع به عنها، ونتسامى ببعض ما ورد فيه عن كثير ممَّا ورد فيها.. من ذلك أنَّ الأحرف المفردة المُجرَّدة هامدةٌ عديمة الحياة والحركة في نُصُوص اللغة وعباراتها إلا ما ندر؛ في حين نجدها نابضةً بالحياة والحركة بمُجرَّد وُرُودها هنا أو هناك في أرجاء آي الذِّكر الحكيم!!

ومن هنا لم يقتصرْ وُرُودُ الظواهر اللغوية والتلوينات الصَّوتية في آي الذِّكر الحكيم على الكلمات والتراكيب؛ وإنما تعدَّتها إلى الأحرف المفردة المُجرَّدة؛ فهي الأخرى قد أحدثتْ - حين التَّلفُّظ بها في غير ما موضعٍ من أماكن وُرُودها - رنيناً وجَرْساً تعجز عن مُجاراته أو مُباراته الجُمل الطِّوال!! «**ص، ق، ن**» هذه ثلاثة أحرفٍ جاءتْ مفردةً في بدء السُّوَر التي ٱفتُتحتْ وسُميِّت بها، نلاحظ في كلٍّ منها نَغَماً مُوسيقياً متكاملاً له مطلعٌ، وله قرارٌ، ومطلعه يلتقي مع قراره، كأنه نبعُ ماء يتدفق في غدير!!

هذا ما تعيشه أحاسيسُك، وتجده أذناك إذا ما أرَعْتَ السَّمع، وأحسنتَ الإنصاتَ للحرف الكريم «**ن**»!! مطلعٌ رائع، وقرارٌ مكينٌ يُلائم الفم من أقصى الحلق إلى مُلتقى الشفتين.. ومن الملاحظ من الآيات المختومة بهذا الحرف الكريم أنَّ لصوت النون مزيةً نفسيةً صوتيةً ظاهرة في الغُنَّة والتَّمكُّن في التطريب؛ لتناسب قداسة القرآن، وقوَّة تأثيره، وعُمق مدلولاته، وعظمته في النفوس، وهيبته في القلوب[١٩٩]!!

والشأن ذاته في الحرفين الكريمين: «**ص**»، و«**ق**».. ولو أنك تخيَّرتَ بنفسك حرفاً آخر سوى المذكورة، وقلَّبتَ حروفَ المعجم كلها؛ فلنْ تعثر ألبتة على حرفٍ رابع يشارك هذه الحروف خاصيتها، أو يُزاحمها مكانها في أداء هذا النَّغَم المُوسيقيِّ الذي يُؤدِّيه كلٌّ منها بمُفرده حين تلاوته!!

إنَّ هذه الحروف الصامتة الناطقة بأبلغ بيان وأروع معنى.. مهما ذهب المرء – وإنْ كان واحداً من أرباب اللغة، وأوحداً من أساطينها المُفوَّهين – كلَّ مذهب بحثاً عن بدائل عنها، ومهما عدَّل وبدَّل وغيَّر من أوضاع اللغة وتراكيبها وحروفها؛ فسيرتدُّ في نهاية المطاف كالَّاً حسيراً، لم يستقمْ له نَغَمٌ مُوسيقيٌّ واحد يتوازن مع ما أحدثته تلك الحروف التي تخيَّرها القرآنُ الكريم لمطالع سُوَره المُباركة.. وحينها يُوقنُ أنْ لا بديل عمَّا صنع القرآن وحذا في شأنها، ولا خيرة من أمرٍ غير ما ٱختار هو منها، ولا تبديلَ لأمر الله، ولا مُبدِّل لكلماته؛ إذ ليس وراءها ما يصلُحُ لأنْ يكون إزاءها، أو يحلَّ محلَّها[٢٠٠]..

وهناك حروفٌ أخرى في اللغة تبعثُ أصواتها في النفس دلالة النَّغَم الصَّارم، وتُثير مُوسيقاها وأصداؤها المُجلجلة صفيراً وأزيراً خلَّفا لبنيتها وقعاً مُتميِّزاً بين أخدانها من أصوات اللغة الأخرى الصَّوامت؛ وكان ذلك – فيما يبدو – نتيجة ٱلتصاقها في مخرج الصَّوت، وٱصطكاكها في جهاز السمع، ووقعها الحاصل ما بين هذا الالتصاق وذاك الاصطكاك لهذه الأصوات ذات الجرس الصارخ؛ وهي: «**الزاي**»، و«**السِّين**»، و«**الصَّاد**».. إذ يلحظ لدى ٱستعراضها في العديد من ألفاظ اللغة الكريمة والقرآن المجيد – كما في ألفاظ: «**الرجز**»، و«**الرجس**»، و«**الحصحصة**» – أنها تصدعُ بما تُؤمرُ، وأنها تُؤدِّي مهمة الإعلان الصَّريح والمُباشر عن المعنى المُراد في تأكيد الحقيقة؛ من خلال دلالتها الصَّوتية الجهورية المُتميِّزة، وهي بذلك تُعبِّر عن الحزم والشِّدَّة والإقدام حيناً، وعن الرِّقَّة واللِّين والعناية بالأمر حيناً آخر؛ ممَّا يُشكِّل نَغَماً صارماً في الصَّوت، وأزيزاً مُشدَّداً في السمع، يخلصان إلى دلالة اللفظ، ويقودان إلى غايته، ويُفضيان إلى أداء رسالته بأمانة تامة، وإلى إبلاغه مأمنه[٢٠١]..

وحينما نقف عند حرف «**الصَّاد**» في قوله ﷻ: ﴿قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ ﴿٥١﴾﴾ [يُوسُف]؛ فإننا نستمع إلى دلالة الصَّوت المُجلجل والمُدوِّي؛ إذ كانت الصاد

واضحة الصُّدُور من المخرج الصَّوتيِّ بين حرفين؛ هما: الحاء والصَّاد، تكراراً في البناء الصَّوتيِّ مرَّتين.. فكون لفظة ﴿ئى﴾ واضحة الظهور كلفظةٍ مُجرَّدة له ما وراءه من المعنى الواشي بانكشاف الأمر ووُضُوحه التَّامِّ في مسرح الأحداث على أرض الواقع!! وهنا قد يتملَّك التالي والسامعَ العَجَبُ لدى التأمُّل في سرِّ ٱختيار هذا اللفظ في أزيزه، ووُضُوح أمره، وظهور دلالته دون ما سواه.. وحينها لا يملك إلا أن يَخِرَّ ساجداً؛ كرامة وإجلالاً لهذا الكلام العليِّ، وهيبة لمُنزِله جلَّ في عُلاه!!

فإذا ما شُدِّدت الصاد؛ كانتْ دلالتها الصَّوتية أشدَّ وطئاً، وإرادتها المعنوية أوضحَ بياناً، وأكثرَ لزوماً، وأبعدَ إمعاناً، وأبلغ ٱستظهاراً؛ كما في قوله ﷻ: ﴿۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ۝١٠﴾ [سُورَةُ العَادِيَاتِ].. فالصَّوتُ قد جاء في صيغة الإرهاب والإرعاب، وفي سياق التهديد والوعيد بدلالته التخييلية؛ إذ قد نلمس فيه ٱنتزاع ما في القلوب من أسرارٍ كوامن، أو ٱستخراج ما علق في الأفئدة من مستوراتٍ وخفايا، أو سلخ ما ٱنطوتْ عليه النفوس من مكنوناتٍ وخبايا!!

ونجدُ في القرآن الكريم دلالاتٍ صوتيةً وصيغاً تعبيرية قوية ومُترجِمةً عن أحداثها العصيبة بمدلولاتها اللغوية وتراكيب حروفها المُوحية بالكرب والشِّدَّة والثقل؛ كقوله ﷻ: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ۚ ۝٣٧﴾ [سُورَةُ فَاطِر]؛ ممَّا يُوحي بأنَّ الصُّراخ قد بلغ لدى المُصطرخين في ذلك اليوم العصيب ذِرْوته، ويشير إلى أنَّ الاضطراب قد تجاوز مداه، وأنَّ الأصوات العالية المُتداخلة والمُدوِّية والفظيعة بدأتْ ترتطم بعضها ببعض؛ علَّها تجدُ سامعاً أو مُغيثاً أو مُتنفَّساً!! فالصُّراخ في شدَّة بعثرة أطيافه، وتلاطم لُجج أمواجه، وتراصف أوتار إيقاعه؛ من توالي الصاد والطاء، وتقاطر الراء والخاء، والترنيم بالواو والنُّون.. يُمثِّل كلُّ ذلك لنا رنَّة هذا الاصطراخ المُدوِّي.. **والاصطراخ**: الصِّياح والنِّداء والاستغاثة، ٱفتعالٌ من الصُّراخ، قُلِبت التاءُ فيه طاءً؛ لأجل الصَّاد السَّاكنة قبلها، وإنما فعل ذلك؛ لتعديل الحروف بحرفٍ وسطٍ بين حرفين يُوافق الصاد في الاستعلاء والإطباق، ويُلائم التاء في المخرج!!

يتَّضح ممَّا تقدَّم أنَّ للدلالات الصَّوتية للحروف فاعلية عالية؛ إذ تخضع في معظم الأحيان لانطباعاتٍ مبعثُها إحياءُ الأصوات.. ويُشكِّل الصَّوتُ في النسق اللغويِّ مُنطلقاً للوعي والتأثير؛ إذ قد يكون هناك صوتٌ بعينه، أو مجموعة من الأصوات يكون لها في النفس مغزىً، أو تبعث في قرارتها شعوراً مُعبِّراً؛ وعندها تتفوَّق دلالة جرس الصَّوت وإيقاعه على منطق اللغة؛ فيخرج آنئذٍ عن كونه صوتاً مَحْضاً إلى دلالةٍ تُعزِّز المعنى وتُؤكِّده وتُقوِّيه، وتبعث فيه الحركة والحياة[٢٠٢]!!

خلاصةُ الأمر أنَّ الحرف بدلالته الصَّوتية يُشيرُ إلى المعنى أو يُحاولُ الإيحاءَ به؛ بحيث يُمكنُنا القولُ بأنَّ أصوات اللغة العربية تدلُّ دلالة قوية وأكيدة على المعاني، وغالباً ما يكون التوفيقُ رائدَها وحليفَها.. وعندها تُثيرُ في النفس أجواءً وتُهيِّئها، وتُتيح فرصاً مُلائمة لقبول تلك المعاني أو الإيحاء بها بعد التمهيد التدريجيِّ لها؛ ذلك كلُّه لأنَّ الدلالة الصَّوتية تلعب دوراً مهماً وتُسهمُ في مشاركةٍ إيجابية فعَّالة لتوجيه معنى الكلمة والعبارة والنَّصِّ، وتحديد مداليلها جميعاً.. بيد أنَّ هنالك تفاوتاً وفروقاً ملموسة في القدرة التعبيرية بين الأصوات المُختلفة في اللغة، وهذا هو السِّرُّ الكامن في التفاوت واختلاف نسب التأثير في الكلمات المُعبِّرة بأصواتها عن معانيها ومدلولاتها!!

إنَّ لأصوات الكلمات قوَّةً خارقةً في التعبير عن مدلولاتها، وإنَّ الجرس المُوسيقيَّ لأية لفظة يلعب دوراً خاصَّاً يُثيرُ انتباه المشاعر الداخلية وتحفيزها للتلقِّي، والنَّغَم من أخصِّ خصائص اللفظة بوصفها صوتاً يرمز إلى المعنى..

وغير بعيدٍ عمَّا تقدَّم؛ فإنَّ نظم القرآن الكريم ونغمه ينبعث من أسلوبه وتراكيبه وكلماته وحروفه؛ فأسلوبه فريد مُعجز، وحروفه متآخية، وتراكيبه آخذٌ بعضها بعناق بعض، وكلماته ذاتُ إيقاع وذاتُ جرس تهتزُّ له المشاعر، وتسكُنُ عنده النفوس، وتطمئنُّ به القلوب!! وإنَّ الكلمات والألفاظ في تآخيها وانصهارها في بوتقة التراكيب والجُمل (Structures)؛ لتُنتج مُوسيقى، وتُسمع نغماً مُطرِباً يختصُّ به القرآن وحده، وإنَّ أيَّ كلام – مهما علا صاحبه في البيان درجة ومنزلة، ومهما بلغ في اللغة شأواً ومرتبة، ومهما أخذ في السُّموق وأسبابه ارتقاءً – لا بدَّ أن يكون دون أسلوب القرآن – ذي النَّغَم الخاصِّ الذي لا يُضاهيه أيُّ نغم آخر في الكون – بمراحل ومراحل لا حدَّ لحدِّها في الدُّون[٢٠٣]..

قال ﷻ: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾ [سُورَةُ الأَعْرَافِ].. إنَّ في دلالة أصوات الحروف والألفاظ التي نسمعها من خلال قراءة القرآن الكريم، أو ٱستماعه والإنصات إليه يُتلى غضَّاً طرياً، في هذه الأصوات من الخشوع والقدسية والرَّاحة النفسية ما تهدأ له النفس، وتُقبل عليه، وتطمئنُّ لسماعه.. فأصواتُ كلمات القرآن تلجُ إلى الأعماق لتهزَّ القوى، وتُداعِبُ المشاعر؛ فإذا بها تستزيد منه، ولا تَمَلُّ سماعه، ولو أُعيد عليها كرَّاتٍ ومرَّاتٍ؛ ألفتْ نفسها في ظمأ شديد إليه أكثر من ذي بدء.. بخلاف سائر الأصوات الأخرى مهما شرفتْ وبلغتْ من الرِّفعة والعُلا شأواً؛ إذ تملُّها الآذان حين تكرارها وطروقها عليها المرَّة تِلْو المرَّة[٢٠٤]..

المبحث الخامس
بعض المظاهر الصوتية وأثرها في البيان اللغوي والقرآني

هناك نوعٌ من التناسق الرَّائع بين الكلمات في الجملة الواحدة، وبين الحروف في الكلمة الواحدة.. فنظرة خاطفة إلى تلك الحروف تُرينا مدى التناسُب الطبيعيِّ فيما بينها في الهمس والجهر، والشِّدَّة واللِّين، والتفخيم والترقيق.. ممَّا يشكل أنغاماً إيقاعية متناسقة متناسبة..

وهذه الخاصيَّة تعود – بلا شكٍّ – إلى طريقة ٱختيارها، وآلية سبكها، وتناسب مخارجها.. كما إنَّ وضع الكلمة في الآية القرآنية أو الجملة العربية، وٱختيار موقعها، وٱلتئامها مع جارتها له بالغ الأثر في إضفاء هذا الجرس الخاصِّ والإيقاع المُؤثِّر في نفس السامع[٢٠٥]..

ومن هنا؛ فقد ٱهتمَّ المُحدثون من الباحثين في مجال اللغة والمباحث القرآنية أيَّ ٱهتمامٍ بدراسة ظواهر صوتية ذكروا أنها ليستْ أصواتاً يُمكنُ تحديدُ مخارجها أو صفاتها؛ لأنها تكون أبداً مُصاحبةً للأصوات ومُلازمةً لها ومختلطة بها، وأنها ليستْ كلماتٍ أو جُملاً؛ بلْ هي الطريقة التي تُؤدَّى بها الكلمة أو الجملة، وأشاروا إلى أنَّ أهمَّ تلكم الظواهر: النَّبر، والتَّنغيم، والوقف، والسكت[٢٠٦]..

وينبغي أن أُشيرَ هنا إلى أنَّ السِّماتِ الصَّوتية – أو المظاهر – خاصَّة باللغة المنطوقة؛ إذ يفهم السامع في طريقة نُطق المُتكلِّم وأدائه الصَّوتيِّ للعبارة المعنى المُراد.. وهذا ما نجده ملموساً في بعض آيات القرآن الكريم الذي يُعتَمَدُ فيه على المُشافهة، فلو نظرنا إليه بوصفه نصَّاً مكتوباً؛ فإننا لا نجد فيه علاماتِ ترقيمٍ تدلُّ على معاني الاستفهام، والتعجُّب، والإنكار.. وغير ذلك

من الأساليب التي قد لا تظهر إلا بطريقة الأداء وغيرها؛ لذا كان لزاماً على المُقرئ المُدقِّق، أو القارئ المُحقِّق أن يُؤدِّيَها بطريقةٍ تُوحي بالمعنى المطلوب.. وهذا الأمر ليس مقصوراً على القرآن الكريم، وإنما هو في كلام العرب شعراً ونثراً... فتكون طريقة الأداء بذلك جزءاً من النظام النحويِّ للُّغة[٢٠٧]..

فإذا كان السياقُ بأنواعه قرينةً دالَّةً على فهم النصوص المكتوبة؛ فإنَّ واحداً من العوامل المُهمَّة والظواهر البارزة في فهم مدلولات النُّصوص المنطوقة هو طريقة الأداء اللغويِّ المُصاحبة للجُمل، أو ما يُطلقُ عليه ٱسم «**التطريز الصوتي**».. وظواهر هذا الأداء المُصاحِبِ المُتمثِّلة في التَّنغيم، والنَّبر، والجرس، والفاصلة الصَّوتية، أو «**الوقف**»..

كما تكتسب اللغاتُ الحية رونقها وجمالها بالتَّنغيم إنْ هي ٱتخذتْه أساساً في التواصُل بين الأفراد خطاباً ومُحادثة!! فالتَّنغيم يُميِّز لغة الخطاب عن اللغة المكتوبة؛ فهو في الأولى كما الترقيم في الثانية، كلٌّ منهما يقوم بوظيفة دلالية في تحديد المعنى ومزيد بيانه[٢٠٨]..

فبالتَّنغيم تُحَلُّ الكثير من مُشكلات الدلالة اللغوية المُتعلِّقة بالأصوات والسياقات التركيبية، وبه أيضاً يتمُّ تعيينُ الصُّوَر النُّطقية؛ وذلك من خلال قيامه بوظيفة علامات الترقيم في الكتابة، التي تُحدِّد المعنى الوظيفيَّ للجُملة؛ غير إنَّ التَّنغيم أكثرُ توضيحاً وبياناً لهذا المعنى من علامات الترقيم، وقد يعودُ ذلك إلى أنَّ ما يستعمله التَّنغيم من نغماتٍ صوتية أكثرُ ممَّا يستعمله الترقيم من علاماتٍ كتابية؛ ففي الترقيم تكون مُحدَّدة، وفي حالةٍ جامدة ليس لها تأثيرُ التَّنغيم الذي يُنبِّه ويُثيرُ ويتطلَّب حالةً من الانتباه والمُتابعة لِمَا يجري؛ فهو يقوم بوظيفةٍ دلالية بما يُصاحبه من قرائن؛ كإشاحة الوجه وتجهُّمه، أو إقباله وٱنفراج أساريره.. أو قد تخلو الجُمل من أدوات خاصَّة – كأدوات الاستفهام مثلاً – فيكون الاعتماد عندئذٍ على التَّنغيم في تعيين المُراد بمعونة المقام والسياق، ويكون التَّنغيم وحده الفيصلَ في الحكم على نوع الجُملة ودلالتها[٢٠٩]..

وقد تنبَّه عُلماءُ اللغة والنَّحو إلى هذه الظاهرة منذ وقت مُبكِّر، وكانوا على وعيٍ تامٍّ بأهميتها وأثرها وفاعليتها في تحديد معاني الكلام، وتوجيه دلالة الوحدات اللغوية في السياق بوصفه إشاراتٍ تخدم دلالة النصِّ اللغويِّ في التفريق بين المعاني المُختلفة للجملة الواحدة، والانتقال الأسلوبيِّ بين الأبواب النحوية والبيانية؛ غير أنهم ٱختلفوا في أسلوب دراسته، وفي

تحليلهم له؛ فضلاً عن تعدُّد مُسمَّياته لديهم؛ نظراً لاختلاف ٱتجاهاتهم العلمية في تناوله ودراسته؛ إذ إنَّ البحث في هذا المجال لم يقتصرْ على علماء اللغة والنحو[٢١٠] فحَسْبُ؛ بلْ شمل البلاغيين[٢١١]، وعلماء القراءات والتجويد[٢١٢]..

أما النَّبر والتَّنغيم لدى المُحدَثين؛ فقد شغل حيِّزاً كبيراً في دراساتهم الصَّوتية، وٱتفقتْ نظرتهم مع القدماء بأنَّ للتَّنغيم وظائف دلالية ونحوية، فضلاً عن وظيفته الأساس – الصَّوتية – فهو لديهم وسيلةٌ للكشف عن المعاني المُختلفة، وطريقٌ للتوجيه الدلاليِّ بحسب ٱختلاف النَّغَمات.. وقد عُدَّتْ مباحثهم في هذا المجال أكثر إجادة وضبطاً؛ لاستخدامهم المُختبراتِ الصَّوتية في دقَّة التحليل الصَّوتيِّ؛ الأمر الذي جعلهم يُخضعون التَّحليلَ التَّنغيميَّ لكلِّ نمطٍ لغويٍّ إلى مستويات مُحدَّدة لقياس درجة التردُّد في التنغيم[٢١٣]..

وقد تعدَّدتْ تسمياتُ العلماء لتلك الظاهرة الجليلة؛ ولكنَّ مُسمَّاها يبقى واحداً؛ فمنهم من أسماه نَغَماً وجرساً، ومنهم من أطلق عليه صفة الإيقاع والمُوسيقى، ومنهم من نعته بالظاهرة الجمالية.. وفي هذا السياق يقول الزُّرقانيُّ في «**مناهله**»: ((ونريدُ بجمال القرآن اللغويِّ: تلك الظاهرة العجيبة التي ٱمتاز بها القرآنُ في رصف حروفه، وترتيب كلماته ترتيباً دُونه كلُّ ترتيبٍ ونظام تعاطاه الناس في كلامهم.. وبيانُ ذلك أنك إذا ٱستمعتَ إلى حروف القرآن خارجة من مخارجها الصَّحيحة؛ تشعرُ بلذةٍ جديدة في رصف هذه الحروف بعضها بجانب بعض في الكلمات والآيات: هذا ينقر، وذاك يصفر، وهذا يخفي، وذاك يظهر، وهذا يهمس، وذاك يجهر.. إلى غير ذلك ممَّا هو مُقرَّر في باب مخارج الحروف وصفاتها في علم التجويد!!

ومن هنا يتجلَّى لك جمالُ لغة القرآن حين خرج إلى النَّاس في هذه المجموعة المُختلفة المُؤتلفة، الجامعة بين اللِّين والشِّدَّة، والخشونة والرِّقَّة، والجهر والخفية.. على وجهٍ دقيقٍ مُحكم وضع كُلًّاً من الحروف وصفاتها المتقابلة في موضعه بميزان؛ حتى تألَّف من المجموع قالبٌ لفظيٌّ مُدهش، وقشرة سطحية أخَّاذة، ٱمتزجتْ فيها جزالة البداوة في غير خشونة برقَّة الحضارة من غير مُيُوعة، وتلاقتْ عندها أذواقُ القبائل العربية على ٱختلافها بكلِّ يُسْرٍ وسهولة!! ولقد وصل هذا الجمالُ اللغويُّ إلى قمة الإعجاز؛ بحيث لو داخل القرآنَ شيءٌ من كلام الناس؛ لاعتلَّ مذاقه في أفواه قارئيه، وٱختلَّ نظامه في آذان سامعيه..

ومن عجيب أمر هذا الجمال اللغويِّ، وذاك النظام الصَّوتيِّ أنهما كما كانا دليلَ إعجازٍ من ناحية؛ كانا سُوراً منيعا لحفظ القرآن من ناحية أخرى؛ وذلك أنَّ من شأن الجمال اللغويِّ والنظام الصَّوتيِّ أن يسترعيَ الأسماعَ ويُثيرَ الانتباه ويُحرِّكَ داعية الإقبال في كلِّ إنسانٍ إلى هذا القرآن الكريم تلاوة وحفظاً وتدبُّراً وتعاهُداً ومُدارسة.. وبذلك يبقى أبدَ الدَّهر سائداً على ألسنة الخلق وفي آذانهم، ويعرف بذاته ومزاياه بينهم؛ فلا يجرؤ أحدٌ على تغييره وتبديله، مِصْداقاً لقوله ﷻ: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [سُورَةُ الحِجْرِ]))[٢١٤]..

إنَّ كلَّ عنصرٍ من عناصر البيان – ولا سيَّما البيان القرآنيُّ المُعجِز – لذو أثر مجيد في بناء المعنى وتصويره وتحبيره، قد تخفى علينا نحن بعضُ ملامح ذلك الأثر؛ ولكنَّ هذا الخفاء لا يصحُّ أن يكون مَدْعاةً أو أن يُتَّخذ ذريعةً إلى نفي وُجُوده.. ولو أنَّ المرء نفى كلَّ ما لا يُحِسُّ أو يرى؛ لكان الأمرُ ناحياً منحىً، ومُنحَدِراً في مُنزلقٍ جدٍّ خطير، وداخلاً في نفقٍ مُظلم!! إنَّ من رأس الإيمان في الإسلام وأساسه: الإيمان بالغيب؛ فوجب أن يقف المرءُ عند ما يعلم، غيرَ نافٍ وُجُودَ ما لا يعلم؛ بحُجَّة أنه لا يُدركه بحواسِّه القاصرة العاجزة..

فممَّا لا إنكار فيه أنَّ واحداً من أهمِّ الجوانب العامة المُهمَّة التي تمتاز بها بياناتُ القرآن الكريم: ((الاتِّساق اللَّفظيُّ الصَّوتيُّ الذي تدركه الأذن؛ وإن لم تفهم المعنى أو تعرف العربية.. وترتَّب على ذلك سُهُولة نطقه باللسان... وتيسير حفظه عن ظهر قلب؛ حتى يحفظه الطفل الصَّغير كما حفظتْه الأجيال.. وليس ثمة نصٌّ بهذا الطول وهذا التنوع يسَّره الله ﷻ للحفظ ككتابه العزيز!!))[٢١٥].. سمع أحدُهُم أنَّ امرأة أوربية لا تتفقه العربية أصغتْ إلى خطيبٍ عربيٍّ كانتْ تتخلَّلُ خُطبتَه آياتٌ من الذِّكر الحكيم؛ فقصدتْ ذلك الخطيبَ مُستفهِمةً عن مدى شعورها بكلام كريم من غير جنس كلامه كان يتخلَّل عباراتِهِ أثناء الخُطبة؛ فأنبأها أنَّ ذلك هو القرآن الكريم كلام الله ﷻ[٢١٦]!!

الخاتمة

وفي ختام هذا البحث المُخصَّص لدراسة جوانب من التلوينات والمظاهر الصوتية الواردة في لغتنا العربية وكتابها الأكبر – القرآن المجيد – يطيبُ لي أن أُوجز ما بسطتُهُ في أثنائه، ولا يَسَعُني قبل أن أضع قلمي جانباً إلَّا أن أُثبتَ طائفة من الحقائق المهمة الواردة بين دفَّتيه؛ وذلك عَبْرَ خلاصةٍ دالَّةٍ على أهمِّ النتائج التي توصلتُ إليها فيه؛ فأقول وبالله التوفيق:

- اللغة الإنسانية كائنٌ حيٌّ يطرأ عليها ما يطرأ على الأحياء، ويعتريها ما يعتريهم، وهي أيضاً ظاهرة اجتماعية قابلة للتَّطوُّر والتَّأثُّر إيجاباً وسلباً، وهي حاملةٌ للقيم الاجتماعية، وهي أيضاً وعاءٌ لكلِّ ما يُبقي الصِّلاتِ الاجتماعيةَ راسخةً..
- اللغة ظاهرة صوتية، الأصلُ فيها أنها نظامٌ من الرُّموز الصَّوتية المنطوقة؛ فهي أصواتٌ في حروفٍ، وحروفٌ في كلماتٍ، وكلماتٌ في جُملٍ، وجُملٌ في نحوٍ، ونحوٌ في بيانٍ، والبيانُ وحدة لا تتجزأ..
- تُعدُّ اللغة العربية – من بين سائر اللغات الإنسانية – لغةً كاملةً، مُحبَّبةً، عجيبةً، تكاد تُصوِّر ألفاظُها مشاهدَ الطبيعة، وتُمثِّل كلماتُها خطراتِ النفوس، وتكاد تتجلَّى معانيها في أجراس الألفاظ، كأنما كلماتِها خطواتُ الضمير ونبضاتُ القلوب ونبراتُ الحياة، وللأصوات في اللغة العربية وظائفُ بيانية وقيم تعبيرية..
- أنَّ للرُّموز أهميةً بالغةً في حياة البشر، واللغة إحدى هذه الرموز؛ ذلك أنَّ وسائل الاستدلال في الوجود كثيرة؛ فقد تكون إشاراتٍ، أو علاماتٍ، أو رموزاً مخطوطة، أو صوراً مرسومة، وقد تكون تغيُّراتٍ تطرأ على شكل الإنسان ولونه ونبرة صوته ومستوى تلك النبرة ارتفاعاً وانخفاضاً؛ فتدلُّ على حالته النفسية والانفعالية.. واللغة أهمُّ هذه الدوالِّ وأكثرها إيحاءً..
- إنَّ الرُّموز الصَّوتية – الحروف – التي يتعامل بها أبناءُ الجماعة اللغوية الواحدة محدودة؛ فأكثر اللغات تتعامل كلٌّ منها بحوالي ثلاثين رمزاً صوتياً، وتتعامل كلُّ اللغات الإنسانية مُجتمعةً بما لا يزيد على خمسين رمزاً صوتياً، لكلِّ لغة منها نصيبٌ؛ ولكنَّ هذه الرُّموز المحدودة تُعبِّر في كلِّ لغة من هذه اللغات الكثيرة عن أكثر ما يُريدُ الإنسانُ التعبيرَ عنه في كلِّ مجالات الحياة والفكر..

❁ أنَّ اللفظ المُجرَّد، بَلْهَ الرَّمز الصَّوتيَّ - مهما تمتَّع بنصيبٍ عريض وحظٍّ وافر من الوقع والجرس والمُوسيقى - عاجزٌ عن إسعافنا بما يُمكنُ من خلاله التَّعرُّف على قرائن الأحوال؛ بلْ لا بدَّ له من ٱستعمالٍ دالٍّ؛ إذ تكتسب الرُّموز اللغوية قدرتها الإيحائية عن طريق الاستخدام، والكلمة أقلُّ عناصر اللغة ذات الدلالة..

❁ كما وافق القُرآنُ الكريم لغةَ العرب في كثيرٍ من أساليب التعبير وسَنَن الخطاب؛ فقد خالفها في مُناسباتٍ عديدة أخرى ليستقلَّ بخصوصياتٍ كريمة يُمكنُ إدراجها في باب الإعجاز؛ لذا يتوجَّب علينا أن ننأى به عن كثير من جوانب التقعيد الثابتة والمُطَّرِدة لتلك اللغة، من ذلك أنَّ الأحرف المفردة المُجرَّدة هامدةٌ عديمة الحياة والحركة في نُصُوص اللغة وعباراتها؛ في حين نجدها نابضةً بالحياة والحركة بمُجرَّد وُرُودها في آي الذِّكر الحكيم؛ كـ«**ص، ق، ن**»!!

❁ إنَّ للدلالات الصَّوتية للحروف فاعلية عالية؛ إذ تخضع في معظم الأحيان لانطباعاتٍ مبعثُها إحياءُ الأصوات، ويُشكِّل الصَّوتُ في النسق اللغويِّ مُنطلقاً للوعي والتأثير؛ إذ قد يكون هناك صوتٌ بعينه، أو مجموعة من الأصوات يكون لها في النفس مغزىً، أو تبعث في قرارتها شعوراً مُعبِّراً؛ وعندها تتفوَّق دلالة جرس الصَّوت وإيقاعه على منطق اللغة؛ فيخرج آنئذٍ عن كونه صوتاً مَحْضاً إلى دلالةٍ تُعزِّز المعنى وتُؤكِّده وتُقوِّيه، وتبعث فيه الحركة والحياة!!

❁ إنَّ الحرف بدلالته الصَّوتية يُشيرُ إلى المعنى أو يُحاولُ الإيحاءَ به؛ بحيث يُمكنُنا القولُ بأنَّ أصوات اللغة العربية تدلُّ دلالة قوية وأكيدة على المعاني، وعندها تُثيرُ في النفس أجواءً وتُهيِّئها، وتُتيح فرصاً مُلائمة لقبول تلك المعاني أو الإيحاء بها بعد التمهيد التدريجيِّ لها..

❁ الحروف الهجائية إليها تُحلَّل الكلماتُ اللغوية، فما من لغة في الأرض إلا وأرجعها أهلُها إلى حروفها الأصلية، سواءٌ أكانت اللغة العربية أم اللغات الأعجمية، شرقية وغربية؛ فلا صَرْفَ، ولا إملاء، ولا ٱشتقاق.. إلا بتحليل الكلمات إلى حروفها، ولا سبيل لتعليم لغة وفهمها إلا بتحليلها، وهذا هو القانون المسنون في سائر العلوم والفنون..

- ولا يُمكنُ لأيِّ دارسٍ تحليلُ حروف لغتنا المعطاء من دُون الوُقُوف على أصدائها الصَّوتية المُتنوِّعة وما تبثُّه من أعماقها من إيماءاتٍ وإيحاءات دلالية شتَّى؛ وبذا يُمكنُ عدُّ الأصواتِ المظهرَ المادِّيَّ للغة..
- بالدراسة المُعمَّقة والمتأنية والتمحيص المُتَّئد للخصائص الصَّوتية لحروف العربية، وٱستعراض معانيها وٱستيحاء دلالاتها يُمكنُنا إعادةُ ترسيم الحدود، وحصر المُفارقات الدَّلالية القائمة على أساس سبرٍ عميق لأبنية الألفاظ المُختلفة المُؤلَّفة من مجموع أصوات تلك اللغة وٱئتلافها؛ لاستكناه حقيقة أبعادها الدلالية..
- إنَّ تقارب الحروف في مخارجها لا يمنحها تقارباً مُماثلاً في إيحاءاتها الصَّوتية، ولا في معانيها؛ فالحرف الشقيق إذا حلَّ محلَّ شقيقه في لفظة ما؛ لا تظلُّ اللفظة على معنىً مُقاربٍ لمعناها قبل الإبدال؛ وإنما قد يُؤدِّي ذلك إلى التناقض في معانيهما في أحيان كثيرة..
- إنَّ الحروف – من حيث هي أصواتٌ لغوية – تحمل طبيعةً نغميةً خاصَّة بكلٍّ منها؛ فأنْ يجد الساجع ٱنسجاماً مع بعض الحروف دون بعض أمرٌ طبيعيٌّ بالنظر لتلك الطبيعة النَّغَمية الخاصَّة.. ولمَّا كان نقلُ أيِّ صوتٍ من أصوات الحروف بالتَّعبير عنه طبيعةً نغميةً؛ فمن الطبيعيِّ أن ينسجم مع بعض الأصوات دون بعض، كما تنسجم بعض الأوتار المُوسيقية في الآلة الواحدة وتتناغم مع أخرى قريبة منها ومُؤتلفة معها في درجة الصَّوت، في حين تُصدِرُ جلبة وضجيجاً مع بعضها الآخر ممَّا تنأى فيه تلك الدرجة أو تختلف!! لذا فإنَّ ترتيب حروف اللفظة الواحدة يجب أن يُراعى فيه ٱنسجامُ حروفها، وأن يكون بناؤها على سَنَنٍ من هذا الأساس..
- يُعدُّ الصَّوتُ اللغويُّ والكلمة وحدتين أساسيتين في تكوين الكلام؛ إذ تتكوَّن اللغة – أية لغة – من وحدات أساسية؛ هي «**الكلمات**»، وهذه الأخيرة تُؤلِّفها عناصر أصغر منها، تسمَّى: «**الأصوات**»، التي يأتلف بعضها ببعض ويتواشج في نسيجٍ كلاميٍّ مُعبِّر عمَّا يدور في خلد المُتكلِّم من أفكار ومعان..
- الدارسُ الذي يُحاولُ الوقوف على أسرار اللغة ونظمها وظواهرها ستكون مُحاولاته عبثاً إن هو ٱقتصر في دراسته على ما وصل إليه من مُفردات؛ إذ لا بدَّ له أن يرجع بالبحث إلى الوراء ليدرس الأصول التي تتكوَّن منها الكلماتُ، ويتعرَّف خصائصَها وما ينبني عليها

من ظواهر؛ تلك الأصول هي الأصوات اللغوية التي يُعبَّر عنها بـ«**حروف الهجاء**».. وعندها فقط يمكنه الانتقال إلى الخطوة الطبيعية التالية؛ وهي دراسة الكلمات؛ فإنَّ ما ينشأ من تمازج الأصوات له دخلٌ كبير في صنع الكلمات والمفردات وأوزانها وتحديد مدلولاتها..

- ليستْ الكلمة في اللغة صورةً جامدة مُجرَّدة من المضمون؛ وإنما هي صوتٌ يلفظ؛ ما يجعلها تتَّصل ٱتصالاً وثيقاً بالمُوسيقى؛ فهي عبارة عن صوتٍ مُتناسقٍ ينطق به الإنسان؛ ليُعبِّر به عن أغراضه البيانية؛ ولا سيَّما أنَّ الألفاظ جاريةٌ من السَّمع مجرى الصُّور من البصر..
- لا يبني النُّقَّادُ ٱنطباعهم الجماليَّ على الصُّورة الصَّوتية للكلمة بمعزلٍ عمَّا توحيه من دلالة بديعة؛ بلْ ينظرون إلى ٱشتراك اللفظ والمعنى معاً في إحداث صورةٍ دلالية، ومن هنا كان لظاهرة إيحاء الألفاظ بأكثر من دلالتها الظاهرة حُضُورٌ فاعل في النَّصِّ القرآنيِّ وفي القصَّة القرآنية، شكَّلتْ هذه الظاهرة قيمة فنِّيَّة تُشركُ المُتلقِّي في تمثُّل الثراء المعنويِّ للَّفظ..
- هناك علاقة وطيدة ومُناسبة طبيعية تصلُ ما بين اللفظ ومدلوله؛ فالألفاظ لم تنفصلْ عن دلالاتها الصَّوتية في كثير من الأحيان، وهذا يعني أنَّ الألفاظ تكتسب دلالتها من جرس أصواتها؛ فينشأ ما يُسمَّى بـ«**المناسبة الطبيعية**» بين الأصوات والدلالات..
- إنَّ عملية ٱستنباط المعاني الفطرية والدلالات الحسِّيَّة للألفاظ العربية بالرُّجوع إلى أُسرها ومقاطعها البنائية، وإيحاءات حروفها وخصائصها الصَّوتية ذاتُ أثر بالغ في الإحاطة بما وُضِعَتْ له من معانٍ ومرامٍ، وما دلَّتْ عليه من أبعادٍ وغايات، وأنها والدلالات اللغوية المُعجمية بعضها آخذٌ بعناق بعض، يُكمِّله ويكتملُ به..
- إنَّ بين اللفظ والمعنى علاقةً ما؛ فما يخرُجُ بالصَّوت يدلُّ على ما في النفس؛ وهي التي تُسمَّى: «**الآثار**»، والتي في النفس تدلُّ على الأمور؛ وهي التي تُسمَّى: «**المعاني**».. فمعنى دلالة اللفظ: أن يكون إذا ٱرتسم في الخيال مسموعُ ٱسم؛ ٱرتسم في النفس معنىً؛ فتعرف النَّفسُ أنَّ هذا المسموع لهذا المفهوم، فكلَّما أورده الحسُّ على النَّفس؛ ٱلتفتتْ إلى معناه؛ بمعنى أنَّ التأليف الصُّوريَّ للَّفظ يرسم القيمة الدلالية للمعنى الذي يُقابله..

❁ إنَّ الألفاظ المفردة التي هي أوضاع اللغة لم توضعْ لتُعرف معانيها في أنفسها؛ ولكنْ لأنْ يُضمَّ بعضُها إلى بعض؛ فيُعرف فيما بينها فوائدُ، هذا من حيثُ النظم.. أما من حيث المفهوم العامِّ للبلاغة؛ فإنها تصلُحُ أن تكون صفةً للكلمة وهي مفردةٌ، وصفةً لها وهي مُؤلَّفة أو منظومة في تركيب مفيد.. فبلاغتُها وهي مفردة جمالٌ ذاتيٌّ؛ أما بلاغتُها وهي منظومة في سلك الجُملة أو التركيب؛ فنابعةٌ من حُسن ٱستغلال هذا الجمال الذاتيِّ بحُسن ٱختيار المكان المُلائم والتناسق والتنسيق فيما بينها وبين جاراتها..

❁ إنَّ الأصوات اللغوية بائتلاف أنغام بعضها إلى بعض تُشكِّل مُفردات اللغة، وبتأليفها تُمثِّل الكلام في تلك اللغة..

❁ ما اللُّغات والتَّعبيرات الكلامية إلا رُمُوزٌ ٱصطلاحية يستعملها الناس، فإذا وجدْناهم قد ٱستعملوها في كلامهم للدلالة على ما يقصدون من معانٍ، وحصل فيما بينهم التَّفاهُمُ بها؛ كانتْ من عناصر لغاتهم، ولا داعيَ لإدخال الرأي في الأمور الخاضعة لما يصطلحُ عليه الناس..

❁ الشُّعراءُ هم الذين مَوْسقوا الكلمة العربية طوال مراحل نشأتها؛ وذلك من خلال إنشادها في أهازيجهم وقصائدهم؛ فشحنوا أحرفها بشتَّى الأحاسيس؛ لتتحوَّل بذلك إلى تفعيلةٍ مُموسقةٍ جاهزة للدخول في شتَّى الأوزان، ومُهيأة للتداول في شتَّى القوافي؛ للتعبير عن شتَّى المعاني..

❁ بعد أن ٱهتدى العربيُّ إلى أصوات حروفه ومعانيها؛ بقي على فطرته البدوية يتقمَّص الأشياء والأحداث؛ لاستشفاف خصائصها الذاتية.. وهكذا أخذ شيئاً فشيئاً ينتقي الحروف التي تتلاءم إيحاءاتُها الصَّوتيةُ مع تلك الخصائص؛ ولكنْ على وفق ترتيبٍ مُعيَّن يُماثل تراكيب الأشياء، أو يُوافق حركاتها الإيمائية ويُحاكيها..

❁ إذا كان العربيُّ قد لجأ إلى تقمُّص أشياء العالم الخارجيِّ وظواهره وأحداثه للاهتداء إلى أصوات حروفه ومعانيها بوسيطٍ من مشاعره؛ فلا بدَّ لنا نحن أن نهتدي بالمقابل إلى معاني تلك الحروف من خلال تأمُّل صدى أصواتها في مشاعرنا؛ شريطة أن يتمتَّع ذلك العربيُّ بأصالةٍ فنِّيَّة إبداعية، وأن نتمتَّع نحن بأصالةٍ فنِّيَّة تذوُّقية مُوازية.. ومُعجماتُ اللغة العربية هي الفرقانُ والفيصلُ والحَكَمُ العدلُ في هذه القضية..

❁ أسهمت التلويناتُ الصَّوتية بشكلٍ واضح ومُميَّز في عملية ٱنتقاء المفردة القرآنية في السياقات الجزئية والكلِّيَّة؛ وذلك من حيث إبراز القيمة الصَّوتية لهذه المفردة أو تلك في ٱئتلاف أصواتها، وأداء دلالاتها، وهذا الانتقاءُ الدَّقيق يُراعى فيه تعاضُد المفردة بشكلٍ دقيق مع نظائرها السَّابقة واللَّاحقة في إطار السياق.. كما تمَّ توظيف الكلمات المُؤلَّفة من أحرفٍ كثيرة ممَّا يُستثقل في النَّصِّ البشري بشكلٍ فريد حين عانقت التلوين الصَّوتيَّ في السياق القرآني؛ فبرزتْ هذه الكلماتُ القرآنية الطويلة على أبهى ما يكون من التوظيف والإيحاء والنَّظم..

❁ يستعملُ القرآن الكريم الألفاظ ذات الجرس المُوسيقيِّ الناعم الرَّخيِّ، والسَّلِسِ المُوحي في المواضع التي يشيع فيها جوٌّ من الحياة الهانئة السعيدة الجميلة، ويبدو العكس في مواضع كثيرة أخرى؛ إذ قد تتَّسم المُوسيقى بالقوَّة والشِّدَّة المُناسبة للمعنى الذي أراد تصويره وبيانه!!

❁ إنَّ أهمَّ ما يُلاحظ على ألفاظ علاقة الرَّجل بالمرأة في أسلوب القرآن الكريم: الوُعُورة وثقل الألفاظ ذات الدلالة المُباشرة على المُخالطة والجِمَاع.. في حين ٱنمازت الألفاظ ذاتُ الدلالة الكنائية باللين والسهولة!!

❁ يُعدُّ أصلُ الوضع اللغويِّ وتركيبة البناء الذاتيِّ لجملة الألفاظ التي ٱنتقاها القرآن الكريم لتكون النسيج التعبيري لآياته الكريمة هما اللذان يمنحانِهَا كلَّ هذا الرَّنين المُوسيقيِّ والبُعدِ الصَّوتيِّ؛ أي إنَّ ألفاظاً كهذه تعتمد قوة الجرس الذاتية في بنائها اللفظيِّ أداةً للتعبير والإيحاء، وما ٱستعمالُ القرآن الخاصُّ لها دون سِوَاها في سياقاته المُعجِزة إلا لما ٱمتازتْ به عن غيرها من مُوسيقى ذات إيقاعٍ مُتميِّز..

❁ إنَّ ترجمة معاني القرآن، أو ما تُسمَّى بالترجمة التفسيرية تفقد أول ما تفقد الجانب الصَّوتيَّ الجميل الذي يمتاز به النَّصُّ القرآنيُّ الحكيم، وتُفوِّت عنصراً رئيساً من عناصر إعجاز هذا الكتاب الكريم، وتُحيله إلى كلام يقع ضمن مقدور الطاقة البشرية ويتداخل مع أسلوب البشر..

❁ من عجيب أمر هذا الجمال اللغويِّ، وذاك النظام الصَّوتيِّ في القرآن المجيد أنهما كما كانا دليلَ إعجازٍ من ناحية؛ كانا سُوراً منيعا لحفظه من ناحية أخرى؛ وبذلك يبقى أبدَ الدَّهر

سائداً على ألسنة الخلق وفي آذانهم، ويعرف بذاته ومزاياه بينهم؛ فلا يجرؤ أحدٌ على تغييره وتبديله..

- ❁ إنَّ كلَّ عنصرٍ من عناصر البيان – ولا سِيَّما البيان القرآنيُّ المُعجِز – لذو أثر مجيد في بناء المعنى وتصويره وتحبيره، قد تخفى علينا نحن بعضُ ملامح ذلك الأثر؛ ولكنَّ هذا الخفاء لا يصحُّ أن يكون مَدْعاةً أو أن يُتَّخذ ذريعةً إلى نفي وُجُوده..
- ❁ إنَّ هنالك تفاوتاً وفروقاً ملموسة في القدرة التعبيرية بين الأصوات المُختلفة في اللغة، وهذا هو السِّرُّ الكامن في التفاوت وٱختلاف نسب التأثير في الكلمات المُعبِّرة بأصواتها عن معانيها ومدلولاتها!!
- ❁ إنَّ لأصوات الكلمات قوَّةً خارقةً في التعبير عن مدلولاتها، وإنَّ الجرس المُوسيقيَّ لأية لفظة يلعب دوراً خاصَّاً يُثيرُ ٱنتباه المشاعر الداخلية وتحفيزها للتلقِّي، والنَّغَم من أخصِّ خصائص اللفظة بوصفها صوتاً يرمز إلى المعنى..
- ❁ إنَّ العلاقة بين النِّظامين الصَّوتيِّ والصَّرفيِّ في أية لغةٍ علاقةٌ متينة؛ لأنَّ أغلب الموضوعات الصَّرفية قائمة على قوانين صوتية بحتة؛ فلا يُمكنُ دراسة بنية الكلمة وما فيها من تحوُّلاتٍ وتبدُّلاتٍ من دون دراسة أصواتها ومقاطعها وحركاتها..
- ❁ من أهمِّ الجوانب العامَّة التي تمتاز بها بياناتُ القرآن الكريم: الكمالُ في ٱختيار كلِّ لفظٍ بحيث يُؤدِّي المعنى على أدقِّ وجهٍ وأوفاه بما لا يُؤدِّيه لفظ آخر.. وكذا الاختيار الدقيق للألفاظ المُترادفة بحيث تُميِّز بين أدقِّ الفروق في المعنى، وبحيث إذا ٱستُبدِلَ اللفظ بمُرادِفِهِ؛ فَقَدَ النَّصُّ عُمقَ معناه، ودقَّة تصويره، وجمالَ جرسه..
- ❁ ومن الجوانب العامة الأخرى التي تمتاز بها بياناتُ القرآن الكريم: الاتِّساق اللَّفظيُّ الصَّوتيُّ الذي تدركه الأذن؛ وإن لم تفهم المعنى أو تعرف العربية، وترتَّب على ذلك سُهُولة نطقه باللسان، وتيسير حفظه عن ظهر قلب..
- ❁ من يتصفَّح آيات القرآن الكريم؛ يلحظ من أوَّل وهلة تعدُّد القيم والتلوينات الصَّوتية وتنوُّعها في سياقاته المُختلفة والمُتنوِّعة؛ نظراً لتماسِّها مع مُستويات اللغة كافَّة، وتعاملها مع تفصيلات هذه المستويات..

❁ أصلُ المعاني في اللفظة العربية هو المعنى الحسِّيُّ المأخوذ من بيئة العربي وما ٱكتنفتْه من مظاهر الطبيعة المُختلفة، وفي أثناء هذا البحث طائفة وافية من الألفاظ التي تُدلِّل لتلك الحقيقة..

❁ يُعدُّ كلٌّ من النَّبر والتَّنغيم ملامح صوتية مُرافقة للكلام، ففي حين يُعدُّ التَّنغيم حُكماً في دلالات التراكيب والجُمل؛ يقتصر عملُ النَّبر على الكلمة وحدها، دالّاً على حُدُودها..

توصية

لما للأصوات اللغوية من أهمِّيَّةٍ لا تتوارى في فهم دلالات الألفاظ اللغوية التي تقود إلى فهم التراكيب والبنى النَّصِّيَّة برُمَّتها؛ إذ من خلالها تجري تلك الألفاظُ من السمع مجرى الصُّور من البصر، ولِمَا تقرَّر في علم اللغة من عدم إمكانية التعامل بالحروف المكتوبة مُجرَّدة من دون تبيُّن وقائعها الصوتية؛ فإني أُوصي وبإلحاحٍ بعمل مُعجمٍ قرآنيٍّ صوتيٍّ مُتكاملٍ من الألف إلى الياء، تُستوحى من خلاله دلالات ألفاظ القرآن المجيد ومعاني آياته الكريمة وهداياته بالاعتماد على ما تناثر في بطون الأسفار والمصادر قديمها وحديثها، وما كتب من الدلالات والإيحاءات والخصائص الصوتية لحروف اللُّغة العربية؛ على أن يُتَّخذ ما كتب عمالقة اللغة القدماء والمُحدثون، وفي مُقدِّمتهم: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، وأبو الفتح عُثمان بن جِنِّي الموصلي، وأبو الحسين أحمد بن فارس ٱبن زكريا القزويني، وكلُّ من جاء من بعدهم، وسار على إثْرهم ونهج نهجهم، وكتب عن آثارهم الطَّيِّبة ومناهجهم المُثمرة وجهودهم المباركة والمشكورة في حقل الدراسات الصوتية؛ من أمثال الأستاذ مصطفى صادق الرافعي، والأستاذ عبد الله العلايلي في «**تهذيب المقدمة اللغوية**»، والأستاذ زكي الأرسوزي في مُؤلَّفاته الكاملة، والأستاذ الدكتور حسام سعيد النعيمي في كتاباته ومُحاضراته وتحليلاته وخواطره وتأمُّلاته الرائعة.. ولا ننسى ما كتبه الباحثُ العربيُّ السُّوري المُثابر والكفوء الدكتور حسن عباس الباحث في علم اللغة واللِّسانيات وما خلَّفة لنا وللمكتبة العربية والقرآنية مشكوراً من جهدٍ طيِّب وآثار مُباركة في معاني الحروف العربية على واقع مُعجمات اللغة، وفي خصائص تلك الحروف ومعانيها، وكذلك في أصواتها وإيحاءاتها الحسِّيَّة والشُّعُورية، وفي العلاقات الفطرية المُنعقدة بينها وبين سائر الحواسِّ والمشاعر الإنسانية... وغيرهم من العلماء الأعلام والباحثين الأفذاذ الكثير.. يُتَّخذ ذلك كلُّه أساساً متيناً وزاداً طيِّباً تقوم عليه أركان ذلك المُعجم المأمول

والمُرتَقَب بإذن الله ﷻ؛ ما دام بالإمكان إيجادُ منهجٍ تفسيريٍّ شامِل للقرآن الكريم يقوم على تحليل وظائف الأصوات، وتحديد دلالة البناء العامِّ للنَّصِّ القرآني في ضوء التَّحليل النَّغَمي..

خلاصة

تعرَّض البحث لدراسة أهمِّ الجوانب الصَّوتية وما فيها من مظاهر مُتعدِّدة أكتنفتْ شتَّى التلوينات والتطريزات والأنغام والنَّبرات الأدائية المُسهمة بشكلٍ أو بآخر في رسم الأوجه الدلالية وبيان الآثار المعنوية وتحديد الصُّور الجمالية لنصوص اللغة – شعرها ونثرها – وآيات القرآن المجيد.. مُعرِّجاً على مدى الإسهام الفاعل والجهد الطَّيِّب المبذول من لدن كلٍّ من علماء اللغة والتفسير والتجويد القدماء والمُحدَثين في الإمساك بطرفٍ وثيقٍ من حبال هذا العلم الجليل، وما نتج عن ذلك كلِّه من ثمار طيبة.. فجاء على خمسة مباحث، تناول الأوَّل منها جانباً تحليلياً للبُعد الصَّوتيِّ لبعض الألفاظ العربية والقرآنية وما أحدثه من آثارٍ معنوية.. في حين جاء المبحث الثاني بعنوان: «تحليل البِنَى الصرفية لطائفةٍ من الألفاظ العربية والقرآنية وتفكيكها وأثر ذلك في تجميع التركيبة الصَّوتية وٱستيحاء دلالتها».. وعقدتُ المبحثَ الثالثَ لأستعرضَ فيه بعضَ التلوينات الصَّوتية وموسيقى الألفاظ المفردة ورَجْع أصدائها على رَسْم الأحداث وتصوير المشاهد.. في حين ضربتُ في المبحث الرابع نماذجَ مُختارةً لطائفةٍ من الأحرف المُجرَّدة والمقاطع الصَّوتية وما تبعثه في النفس من إيحاءٍ عميق، وعرَّجتُ في المبحث الخامس والأخير على بعض المظاهر الصَّوتية وأثرها في البيان اللغويِّ والقرآنيِّ، وجاءتْ عَقِبَ ذلك خاتمةُ البحث لتكتنفَ أهمَّ النتائج التي توصَّلتُ إليها، يتلوها ثبتٌ بأهمَّ المصادر والمراجع التي أفدتُ منها في إثراء المادَّة العلمية للبحث..

هوامش البحث ومصادره

(١) الخصائص (١/ ٣٣).

(٢) ينظر: البحث الدلالي في تبيان الطوسي/ ص٣١.

(٣) الجواهر في تفسير القرآن الكريم، لطنطاوي جوهري (تفسير الآية الأولى من سورة آل عمران)، نقلاً عن: التفسير والمفسرون (٥/ ٩).

(٤) ينظر: النشر في القراءات العشر (١/ ٢٢٥)، واللغة العربية ومكانتها بين اللغات/ ص٤- ٥، وخصائص الحروف العربية ومعانيها/ ص١٢٧- ١٣٣، و١٧٥، وأصوات الحروف العربية وإيحاءاتها الحسية والشعورية/ ص٤٦.

(٥) اللغة العربية ومكانتها بين اللغات/ ص٤- ٥، وينظر: النشر في القراءات العشر (١/ ٢٢٦)، وعلم اللغة - الأصوات/ ص١٦٠- ١٦٦، وخصائص الحروف العربية ومعانيها/ ص١٠٣- ١١٠، واللغة العربية ومكانتها بين اللغات/ ص٤- ٥، وأصوات الحروف العربية وإيحاءاتها الحسية والشعورية/ ص٤٦.

(٦) ينظر: النشر في القراءات العشر (١/ ٢٢٧)، وخصائص الحروف العربية ومعانيها/ ص١٣٣- ١٤٠، و١٤٨، ومعاني الحروف العربية على واقع المعاجم اللغوية/ ص٩، وأصوات الحروف العربية وإيحاءاتها الحسية والشعورية/ ص٣٩، و٤٦، والحرف العربي بين الأصالة والحداثة/ ص١١٢- ١١٩، ومقدمة لدرس لغة العرب/ ص١٦٤.

(٧) ينظر: النشر في القراءات العشر (١/ ٢٢٥)، وخصائص الحروف العربية ومعانيها/ ص١٧٥، و١٨٨- ٢٠٠، وأصوات الحروف العربية وإيحاءاتها الحسية والشعورية/ ص٤٦، والحرف العربي بين الأصالة والحداثة/ ص١١٢- ١١٩، ومقدمة لدرس لغة العرب/ ص١٦٤.

(٨) الإحكام في أصول الأحكام (١/ ٣٢)، وينظر: علم الدلالة - أصوله ومباحثه في التراث العربي/ ص٢٩٣.

(٩) **البضاضة**: نعومة البدن وطراوته، ورقَّة الجلد وصفاء لونه؛ وهو الذي يؤثر فيه أدنى شيء.. يقال: فلانٌ أبضُّ الناس؛ أي: أرقُّهم لوناً وأحسنُهُم بشرة [ينظر: تاج العروس (١٨/ ٢٣٩)].

(١٠) ينظر: الصِّحَاح (١/ ٢٨٣)، ومقاييس اللغة (٢/ ٤٢١)، ولسان العرب (٢/ ١٥٣)، وتاج العروس (٥/ ٢٦٣).

(١١) معاني الحروف العربية على واقع المعاجم اللغوية/ ص٥٣- ٦٠.

(١٢) علم الدلالة - أصوله ومباحثه في التراث العربي/ ص٢٠٥.

(١٣) البنى والدلالات في لغة القصص القرآني/ ص٢٧٩.

(١٤) ينظر: الصِّحَاح (٤/ ١٣١٨)، ومقاييس اللغة (٢/ ٣٠٢)، ولسان العرب (٨/ ٤٢٤)، وتاج العروس (٢٢/ ٤٦٦).

(١٥) ينظر: خصائص الحروف العربية ومعانيها/ ص١٣٣.

(١٦) **الصَّحَل**: حدَّة في الصوت مع بُحَّة لا تبلغ أن تكون جشَّة وتكسُّراً في الحلق، وسببها خشونة في الصَّدر [ينظر: العين (٣/ ١١٧)، ولسان العرب (١١/ ٣٧٧)].

(١٧) الخصائص (٢/ ١٦٢- ١٦٣).

(١٨) مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو/ ص١٩٨، و٢١٠.

(١٩) ينظر: علم الدلالة - أصوله ومباحثه في التراث العربي/ ص٢٤٥، و٢٤٩.

(٢٠) ينظر: الأسلوبية الصَّوتية في النظرية والتطبيق/ ص٦٨.

(٢١) ينظر: دلالة الألفاظ/ ص٦٢، والجهود الصَّوتية في كتب البلاغة العربية/ ص١٨١، و١٨٥.

(٢٢) خصائص الحروف العربية ومعانيها/ ص٢.

(٢٣) الخصائص (٢/ ١٦٢).

(٢٤) ينظر: خصائص الحروف العربية ومعانيها/ ص١٣، و١٧٢، و٢٣٥.

(٢٥) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية/ ص٢١٤- ٢١٥، و٢١٨.

(٢٦) الحرف العربي والشخصية العربية/ ص٩٨، وينظر: خصائص الحروف العربية ومعانيها/ ص١٤.

(٢٧) أصوات الحروف العربية وإيحاءاتها الحسية والشعورية/ ص٣٣.

(٢٨) ينظر: الخصائص (٢/ ١٤٥) وما بعدها.

(٢٩) المصدر نفسه (٢/ ١٦٢)، وينظر: أصوات الحروف العربية وإيحاءاتها الحسية والشعورية/ ص٣٥.

(٣٠) ينظر: أصوات الحروف العربية وإيحاءاتها الحسية والشعورية/ ص٤٢- ٤٣.

(٣١) ينظر: المرجع نفسه/ ص٣٣.

(٣٢) في فلسفة اللغة/ ص١٧٢، وينظر: علم اللغة العربية، لحجازي/ ص١٠، والبحث الدلالي في إرشاد العقل السليم/ ص٢٥.

(٣٣) العين (١/ ٥٦)، وينظر: (٧/ ٨١)، وعلم الدلالة - أصوله ومباحثه في التراث العربي/ ص٦٥، ونظريات في اللغة/ ص١٧- ١٨.

(٣٤) ينظر: المصدر نفسه (١/ ٥٣- ٥٤).

(٣٥) **النَّزَوان**: وهو الوَثَبان والارتفاع، ولا يقال إلا للشاء والدَّوابِّ والبقر.. **والنَّقَزان**: الوَثَبان أيضاً، وقد غلب على الطائر المُعتاد الوثب؛ كالغراب والعصفور [ينظر: مقاييس اللغة (٥/ ٤١٨، و٤٦٩)، ولسان العرب (٥/ ٤١٩)، و(١٥/ ٣١٩)].

(٣٦) الكتاب (٤/ ١٤).

(٣٧) ينظر: (٢/ ١٥٢- ١٦٨)، ومثله: «**باب في قوة اللفظ لقوة المعنى**»، (٣/ ٢٦٤- ٢٦٩).

(٣٨) الخصائص «**باب في الدلالة اللفظية والصناعية والمعنوية**»، (٣/ ١٠٠).

(٣٩) بمعنى: مُطَّرِدٌ مستقيم.

(٤٠) ينظر: الصِّحَاح (٥/ ١٩١٣)، ومقاييس اللغة (٢/ ١٩٣)، ولسان العرب (١٢/ ١٨٢)، وتاج العروس (٣٢/ ١٠٥).

(٤١) ينظر: الصِّحَاح (٥/ ٢٠١٣)، ومقاييس اللغة (٥/ ٩٩)، ولسان العرب (١٢/ ٤٨٧)، وتاج العروس (٣٣/ ٢٨٣).

(٤٢) ينظر: الصِّحَاح (١/ ٤١١)، ومقاييس اللغة (٥/ ٤٣٨)، ولسان العرب (٢/ ٦١٨)، وتاج العروس (٧/ ١٨٠).

(٤٣) ينظر: الصِّحَاح (١/ ٤٣٣)، ومقاييس اللغة (٥/ ٤٣٨)، ولسان العرب (٣/ ٦١)، وتاج العروس (٧/ ٣٥٧).

(٤٤) الخصائص (٢/ ١٥٧- ١٥٨)، وينظر: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها (٢/ ٥٥)، وإرشاد العقل السليم (٦/ ٣٩)، والصوت والدلالة/ ص١٤٣، والجهود الصَّوتية في كتب البلاغة العربية/ الصفحات: ١٠٥- ١٠٦، و١٥٤- ١٥٥، و١٩٨.

(٤٥) ينظر: مقاييس اللغة (المقدمة) (١/ ٤)، وعلم اللغة العربية، لحجازي/ ص١٠٤- ١٠٥، المعجم العربي - نشأته وتطوره (٢/ ٣٤٠، و٣٤٩).

(٤٦) ينظر: الصِّحَاح (٥/ ٢٠٠٢)، ومقاييس اللغة (٤/ ٥٠٦)، ولسان العرب (١٢/ ٤٥٣)، وتاج العروس (٣٣/ ٢٠٨).

(٤٧) ينظر: الصِّحَاح (٥/ ٢٠١٣)، ومقاييس اللغة (٥/ ٩٣)، ولسان العرب (١٢/ ٤٨٥)، وتاج العروس (٣٣/ ٢٨٠).

(٤٨) ينظر: الصِّحَاح (٥/ ١٨٨١)، ومقاييس اللغة (١/ ٣٨٤)، ولسان العرب (١٢/ ٧٨)، وتاج العروس (٣١/ ٣٥٧).

(٤٩) ينظر: الصِّحَاح (١/ ٩٤)، ومقاييس اللغة (١/ ٣٨٤)، ولسان العرب (١/ ٢٤١)، وتاج العروس (٢/ ١٠٠).

(٥٠) ينظر: الصِّحَاح (٢/ ٦٧٠)، ومقاييس اللغة (٣/ ١٤)، ولسان العرب (٤/ ٣٢٤)، وتاج العروس (١١/ ٤٣١).

(٥١) ينظر: الصِّحَاح (٢/ ٦٦٦)، ومقاييس اللغة (٣/ ٤٢)، ولسان العرب (٤/ ٣١٤)، وتاج العروس (١١/ ٣٩٥).

(٥٢) ينظر: سرُّ الفصاحة/ ص٢١، ومباحث في علم اللغة واللسانيات/ ص١٤٦، والجهود الصَّوتية في كتب البلاغة العربية/ ص٤٧.

(٥٣) ينظر: الجهود الصَّوتية في كتب البلاغة العربية/ ص٢١١، والبحث الدلالي في إرشاد العقل السليم/ ص١٤٦- ١٤٧.

(٥٤) قال ﷻ: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ ﴿٢٢﴾﴾ [سُورَةُ النِّسَاءِ]، ﴿ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ ﴿٣﴾﴾ [سُورَةُ النُّورِ]، ﴿وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِىُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۗ ﴿٥٠﴾﴾ [سُورَةُ الأَحْزَابِ].

(٥٥) قال ﷻ: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ ﴿١٨٧﴾﴾ [سُورَةُ البَقَرَةِ].

(٥٦) قال ﷻ: ﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾﴾ [سُورَةُ الرَّحْمَٰنِ].

(٥٧) قال ﷻ: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ أَجَلَهُنَّ ... ﴿٢٣٦﴾ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ ﴿٢٣٧﴾﴾ [سُورَةُ البَقَرَةِ].

(٥٨) قال ﷻ: ﴿فَٱلْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۚ ﴿١٨٧﴾﴾ [سُورَةُ البَقَرَةِ].

(٥٩) قال ﷻ: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ ۚ ﴿٢٢٣﴾﴾ [سُورَةُ البَقَرَةِ].

(٦٠) قال ﷻ: ﴿۞ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ ﴿١٨٩﴾﴾ [سُورَةُ الأَعْرَافِ]، ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ ﴿٢١﴾﴾ [سُورَةُ الرُّومِ].

(٦١) قال ﷻ: ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ۚ ﴿٦﴾﴾ [سُورَةُ المَائِدَةِ].

(٦٢) قال ﷻ: ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾﴾ [سُورَةُ النِّسَاءِ].

(٦٣) قال ﷻ: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ ﴿٢٢٢﴾﴾ [سُورَةُ البَقَرَةِ].

(٦٤) قال ﷺ: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ ﴿١٨٧﴾﴾ [سُورَةُ البَقَرَةِ].

(٦٥) ينظر: الدلالة النفسية للألفاظ في القرآن الكريم/ ص١١٩، و١٠٧- ١١٨.

(٦٦) ينظر: الشفاء «**العبارة**»، ص٤، وعلم الدلالة - أصوله ومباحثه في التراث العربي/ ص١٩٦- ١٩٩.

(٦٧) ينظر: الخصائص «**باب في إمساس الألفاظ أشباه المعاني**» (٢/ ١٥٢- ١٦٨)، وعلم الدلالة - أصوله ومباحثه في التراث العربي/ ص٦٥، و١٧٧.

(٦٨) ينظر: اللغة، لفندريس/ ص٢٣٦، والبحث الدلالي في إرشاد العقل السليم/ ص٥٣- ٥٤، والإيحاء الصوتي في تعبير القرآن/ ص٣٢٦- ٣٣٣.

(٦٩) المنهج الصوتي للبنية العربية/ ص٤٤- ٤٥، وينظر: البحث الدلالي في إرشاد العقل السليم/ ص٣٨.

(٧٠) مبادئ اللسانيات/ ص١٢٣.

(٧١) ينظر: البيان والتبيين (١/ ٦٩)، والجهود الصَّوتية في كتب البلاغة العربية/ ص١٠٤، والتنغيم اللغوي في القرآن الكريم/ ص٩٥، والتعبير القرآني والدلالة النفسية/ ص٢٢٣.

(٧٢) ينظر: الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية/ ص١٢٠، والجهود الصَّوتية في كتب البلاغة العربية/ ص١٠٥.

(٧٣) ينظر: الصِّحَاح (٢/ ٧٧٨)، ومقاييس اللغة (٤/ ٤٧٥)، ولسان العرب (٥/ ٤٥)، وتاج العروس (١٣/ ٢٩٨).

(٧٤) ينظر: الصِّحَاح (١/ ٣٧٩)، ومقاييس اللغة (٣/ ٣٢٨)، ولسان العرب (٢/ ٥٠٢)، وتاج العروس (٦/ ٥١٦).

(٧٥) ينظر: الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم/ ص٤٦٦.

(٧٦) ينظر: الدلالة النفسية للألفاظ في القرآن الكريم/ ص١٢١.

(٧٧) ينظر: ص٢٦١.

(٧٨) ينظر: التصوير الفني/ ص٧٨- ٨٦، والنقد اللغوي عند العرب/ ص١١٠، وبلاغة الكلمة والجملة/ ص٢٧، والجهود الصَّوتية في كتب البلاغة العربية/ الصفحات: ٥٢، و٨٢، و٢١٤.

(٧٩) الجواهر في تفسير القرآن الكريم، لطنطاوي جوهري (تفسير الآية الأولى من سورة آل عمران)، نقلاً عن: التفسير والمفسرون (٥/ ٩).

(٨٠) ينظر: اللغة العربية - معناها ومبناها/ ص١٨٥.

(٨١) التصريف الملوكي/ ص٦.

(٨٢) **الاشتقاق الكبير**: هو أن يكون بين اللفظين تناسبٌ في اللفظ والمعنى دون الترتيب؛ نحو: «**جبذ**»، من: الجذب [ينظر: التعريفات/ ص٢٧، والتوقيف على مُهمَّات التعاريف/ ص٥٢، والكُلِّيَّات/ ص١١٨].

(٨٣) ينظر: الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية/ ص٥٨، وخصائص الحروف العربية ومعانيها/ ص٢٥٢.

(٨٤) ينظر: التعريفات/ ص١٦٨، والتوقيف على مُهمَّات التعاريف/ ص١٠٤، والكُلِّيَّات/ ص٦٩٧.

(٨٥) ينظر: الصِّحَاح (٢/ ٧٨٣)، ومقاييس اللغة (٤/ ٤٤٦)، ولسان العرب (٥/ ٦٥)، وتاج العروس (١٣/ ٣٤٥).

(٨٦) ينظر: الصِّحَاح (٢/ ٧٨٠)، ومقاييس اللغة (٤/ ٤٣٨)، ولسان العرب (٥/ ٥٠)، وتاج العروس (١٣/ ٣١١).

(٨٧) ينظر: الصِّحَاح (٢/ ٨٠٤)، ومقاييس اللغة (٥/ ١٢٦)، ولسان العرب (٥/ ١٣٥)، وتاج العروس (١٤/ ٢٧).

(٨٨) ينظر: خصائص الحروف العربية ومعانيها/ ص٢٧٦- ٢٧٧.

(٨٩) ينظر: التعريفات/ ص١٤٧، والحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة/ ص٧٣، والتوقيف على مُهمَّات التعاريف/ ص٢٣٧، والكُلِّيَّات/ ص٦٣٩.

(٩٠) ينظر: الصِّحَاح (٥/ ١٧٦٠)، ومقاييس اللغة (٤/ ٢٤٦)، ولسان العرب (١١/ ٤٣٠)، وتاج العروس (٢٩/ ٤٤٣).

(٩١) ينظر: الصِّحَاح (٢/ ٥٠٥)، ومقاييس اللغة (٤/ ٢٩)، ولسان العرب (٣/ ٢٨١)، وتاج العروس (٨/ ٣٥٣).

(٩٢) ينظر: الصِّحَاح (٥/ ١٧٧٣)، ومقاييس اللغة (٤/ ١٢)، ولسان العرب (١١/ ٤٦٧)، وتاج العروس (٣٠/ ٤٤).

(٩٣) ينظر: الصِّحَاح (٤/ ١٦٩٨)، ومقاييس اللغة (٢/ ٢٥٩)، ولسان العرب (١١/ ٢٤٧)، وتاج العروس (٢٨/ ٤٩٦).

(٩٤) ينظر: خصائص الحروف العربية ومعانيها/ ص٢٧٧- ٢٧٨.

(٩٥) ينظر: التعريفات/ ص٨٩، والحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة/ ص٧٥، والكُلِّيَّات/ ص٣٩٠.

(٩٦) ينظر: الصِّحَاح (٤/ ١٤٦٠)، ومقاييس اللغة (٢/ ١٥)، ولسان العرب (١٠/ ٤٩)، وتاج العروس (٢٥/ ١٦٦).

(٩٧) الخصائص (٢/ ١٦٢).

(٩٨) ينظر: خصائص الحروف العربية ومعانيها/ ص٢٧٨- ٢٧٩.

(٩٩) ينظر: الصِّحَاح (٥/ ١٩٢٩)، ومقاييس اللغة (٢/ ٤٩٨)، ولسان العرب (١٢/ ٢٣٠)، وتاج العروس (٣٢/ ٢٢٥).

(١٠٠) ينظر: الصِّحَاح (٥/ ١٩٣٦)، ومقاييس اللغة (٢/ ٣٧٨)، ولسان العرب (١٢/ ٢٥١)، وتاج العروس (٣٢/ ٢٨١).

(١٠١) ينظر: الصِّحَاح (٥/ ١٩٠٤)، ومقاييس اللغة (٢/ ٢٣)، ولسان العرب (١٢/ ١٥٠)، وتاج العروس (٣٢/ ٥).

(١٠٢) **الجَفْنة**: القَصْعة العظيمة تشبع أكثر من عشرة [ينظر: لسان العرب (١٣/ ٨٩)، وتاج العروس (٣٤/ ٣٥٨)].

(١٠٣) ينظر: الصِّحَاح (١/ ٣٦٤)، ومقاييس اللغة (٢/ ٣٨٥)، ولسان العرب (٢/ ٤٤٦)، وتاج العروس (٦/ ٣٨٦).

(١٠٤) ينظر: خصائص الحروف العربية ومعانيها/ ص٢٧٩- ٢٨١.

(١٠٥) ينظر: الصِّحَاح (١/ ١٠٥)، ومقاييس اللغة (٢/ ٢٦)، ولسان العرب (١/ ٢٨٩)، وتاج العروس (٢/ ٢١٢).

(١٠٦) الخصائص (٢/ ١٦٢).

(١٠٧) ينظر: خصائص الحروف العربية ومعانيها/ ص٢٨٨- ٢٨٩.

(١٠٨) ينظر: خصائص الحروف العربية ومعانيها/ ص٢٩١- ٢٩٢.

(١٠٩) ينظر: التوقيف على مُهمَّات التعاريف/ ص٢٥١، والكُلِّيَّات/ ص٣٩٩.

(١١٠) ينظر: الصِّحَاح (٥/ ١٩٩٦)، ومقاييس اللغة (٤/ ٤١٩)، ولسان العرب (١٢/ ٤٣٦)، وتاج العروس (٣٣/ ١٦٩).

(١١١) ينظر: الصِّحَاح (٢/ ٧٦٧)، ومقاييس اللغة (٤/ ٣٨٠)، ولسان العرب (٥/ ١١)، وتاج العروس (١٣/ ٢١٤).

(١١٢) ينظر: الصِّحَاح (٥/ ١٩٩٧)، ومقاييس اللغة (٤/ ٣٧٧)، ولسان العرب (١٢/ ٤٤١)، وتاج العروس (٣٣/ ١٧٩).

(١١٣) ينظر: الصِّحَاح (٥/ ١٩٣٦)، ومقاييس اللغة (٢/ ٣٧٨)، ولسان العرب (١٢/ ٢٥١)، وتاج العروس (٣٢/ ٢٨١).

(١١٤) ينظر: الصِّحَاح (٥/ ١٩٩٦)، ومقاييس اللغة (٤/ ٤١٩)، ولسان العرب (١٢/ ٤٣٦)، وتاج العروس (٣٣/ ١٦٩).

(١١٥) ينظر: التعريفات/ ص١٣٢، والحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة/ ص٧٤، وأنيس الفقهاء/ ص٧٨، والتوقيف على مُهمَّات التعاريف/ ص١٤٣، و٢١٣، والكُلِّيَّات/ ص٤١٥، و٥٤٣، و٥٥٦.

(١١٦) ينظر: الصِّحَاح (٤/ ١٥٠٥)، ومقاييس اللغة (٣/ ٣٣٩)، ولسان العرب (١٠/ ١٩٣)، وتاج العروس (٢٦/ ٥).

(١١٧) ينظر: الصِّحَاح (٢/ ٤٩٥)، ومقاييس اللغة (٣/ ٢٨٢)، ولسان العرب (٣/ ٢٤٥)، وتاج العروس (٨/ ٢٦٦).

(١١٨) ينظر: الصِّحَاح (٤/ ١٤٧٥)، ومقاييس اللغة (٢/ ٢٥٨)، ولسان العرب (١٠/ ١٠٠)، وتاج العروس (٢٥/ ٢٩٥).

(١١٩) ينظر: خصائص الحروف العربية ومعانيها/ ص٢٦٣.

(١٢٠) ينظر: التعريفات/ ص١٨٤، والتوقيف على مُهمَّات التعاريف/ ص٢٨١، والكُلِّيَّات/ ص٢٦٣.

(١٢١) ينظر: الصِّحَاح (٥/ ٢٠٢٠)، ومقاييس اللغة (٥/ ١٧٢)، ولسان العرب (١٢/ ٥١٠)، وتاج العروس (٣٣/ ٣٣٥).

(١٢٢) ينظر: الصِّحَاح (٢/ ٨٠٤)، ومقاييس اللغة (٥/ ١٢٦)، ولسان العرب (٥/ ١٣٥)، وتاج العروس (١٤/ ٢٧).

(١٢٣) ينظر: الصِّحَاح (٥/ ٢٠٢٤)، ومقاييس اللغة (٥/ ١٢٢)، ولسان العرب (١٢/ ٥٢٦)، وتاج العروس (٣٣/ ٣٧٦).

(١٢٤) ينظر: الصِّحَاح (٥/ ١٩٣٦)، ومقاييس اللغة (٢/ ٣٧٨)، ولسان العرب (١٢/ ٢٥١)، وتاج العروس (٣٢/ ٢٨١).

(١٢٥) ينظر: خصائص الحروف العربية ومعانيها/ ص٢٦٥- ٢٦٦.

(١٢٦) ينظر: التعريفات/ ص٨٧، والتوقيف على مُهمَّات التعاريف/ ص١٤٠، والكُلِّيَّات/ ص٤٠٢.

(١٢٧) ينظر: الصِّحَاح (٥/ ٢٠٩٩)، ومقاييس اللغة (٢/ ٥٧)، ولسان العرب (١٣/ ١١٤)، وتاج العروس (٣٤/ ٤١٨).

(١٢٨) ينظر: الصِّحَاح (٣/ ٩١٧)، ومقاييس اللغة (٢/ ٩)، ولسان العرب (٦/ ٤٩)، وتاج العروس (١٥/ ٥٣٥).

(١٢٩) ينظر: الصِّحَاح (٥/ ٢١٠٤)، ومقاييس اللغة (٢/ ٢٤)، ولسان العرب (١٣/ ١٢٨)، وتاج العروس (٣٤/ ٤٥٥).

(١٣٠) ينظر: الصِّحَاح (٥/ ٢١٣٨)، ومقاييس اللغة (٣/ ٦٠)، ولسان العرب (١٣/ ٢٢٠)، وتاج العروس (٣٥/ ٢٢٣).

(١٣١) ينظر: خصائص الحروف العربية ومعانيها/ ص٢٨٦- ٢٨٧.

(١٣٢) ينظر: التعريفات/ ص١٦٦، والتوقيف على مُهمَّات التعاريف/ ص٢٥٨، والكُلِّيَّات/ ص١٢٢، و٥٠٨.

(١٣٣) ينظر: الصِّحَاح (١/ ٣٩٠)، ومقاييس اللغة (٤/ ٤٩٩)، ولسان العرب (٢/ ٥٤١)، وتاج العروس (٧/ ١٢).

(١٣٤) ينظر: الصِّحَاح (٢/ ٧٨٠)، ومقاييس اللغة (٤/ ٤٣٨)، ولسان العرب (٥/ ٥٠)، وتاج العروس (١٣/ ٣١١).

(١٣٥) ينظر: الصِّحَاح (١/ ٣٨٩)، ومقاييس اللغة (٤/ ٤٣٧)، ولسان العرب (٢/ ٥٤٠).

(١٣٦) ينظر: الصِّحَاح (١/ ٣٦٤)، ومقاييس اللغة (٢/ ٣٨٥)، ولسان العرب (٢/ ٤٤٦)، وتاج العروس (٦/ ٣٨٦).

(١٣٧) ينظر: خصائص الحروف العربية ومعانيها/ ص٢٨٤- ٢٨٥.

(١٣٨) ينظر: الصِّحَاح (١/ ٢٨١)، ومقاييس اللغة (٢/ ٢٣٨)، ولسان العرب (٢/ ١٤١)، وتاج العروس (٥/ ٢٣١).

(١٣٩) ينظر: الصِّحَاح (١/ ١١٧)، ومقاييس اللغة (٢/ ١٥٧)، ولسان العرب (١/ ٣٤١)، وتاج العروس (٢/ ٣٢٧).

(١٤٠) ينظر: مقاييس اللغة (٢/ ١٥٨)، ولسان العرب (٢/ ١٤٥)، وتاج العروس (٥/ ٢٣٩).

(١٤١) ينظر: الصِّحَاح (١/ ٢٧٣)، ومقاييس اللغة (١/ ١٧٢)، ولسان العرب (٢/ ١١٤)، وتاج العروس (٥/ ١٦٠).

(١٤٢) الخصائص (٢/ ١٦٢)، وينظر: خصائص الحروف العربية ومعانيها/ ص٢٥٤.

(١٤٣) ينظر: خصائص الحروف العربية ومعانيها/ ص٢٦٨- ٢٦٩.

(١٤٤) ينظر: الصِّحَاح (٣/ ١٢٠١)، ومقاييس اللغة (٢/ ١٦١)، ولسان العرب (٨/ ٦٣)، وتاج العروس (٢٠/ ٤٨٢).

(١٤٥) ينظر: الصِّحَاح (٢/ ٤٦٨)، ومقاييس اللغة (٢/ ١٤٩)، ولسان العرب (٣/ ١٦٠)، وتاج العروس (٨/ ٥٢).

(١٤٦) ينظر: لسان العرب (٨/ ٧٥)، وتاج العروس (٢٠/ ٥١٧).

(١٤٧) ينظر: الصِّحَاح (٣/ ١٢٠٧)، ومقاييس اللغة (٢/ ٢٥٧)، ولسان العرب (٨/ ٨٥)، وتاج العروس (٢٠/ ٥٤٨).

(١٤٨) ينظر: الصِّحَاح (٣/ ١٢٠٢)، ومقاييس اللغة (٢/ ١٦١)، ولسان العرب (٨/ ٦٣)، وتاج العروس (٢٠/ ٤٨٢).

(١٤٩) ينظر: خصائص الحروف العربية ومعانيها/ ص٢٦٩- ٢٧٠.

(١٥٠) ينظر: التعريفات/ ص٨٧، والتوقيف على مُهمَّات التعاريف/ ص١٣٩، والكُلِّيَّات/ ص٦٧٢.

(١٥١) ينظر: الصِّحَاح (٣/ ٩١٦)، ومقاييس اللغة (٢/ ٩)، ولسان العرب (٦/ ٤٩)، وتاج العروس (١٥/ ٥٣٥).

(١٥٢) ينظر: مقاييس اللغة (٢/ ٣)، ولسان العرب (٣/ ١٤٠)، وتاج العروس (٨/ ٦).

(١٥٣) ينظر: الصِّحَاح (٢/ ٤٨٥)، ومقاييس اللغة (٣/ ٦٦)، ولسان العرب (٣/ ٢٠٧)، وتاج العروس (٨/ ١٧٧).

(١٥٤) ينظر: خصائص الحروف العربية ومعانيها/ ص٢٧٠- ٢٧١.

(١٥٥) ينظر: التعريفات/ ص١١٨، وأنيس الفقهاء/ ص٦٣، والتوقيف على مُهمَّات التعاريف/ ص١٩٣، والكُلِّيَّات/ ص٥١٤.

(١٥٦) ينظر: الصِّحَاح (٤/ ١٤٩٦)، ومقاييس اللغة (٣/ ١٥٤)، ولسان العرب (١٠/ ١٥٥)، وتاج العروس (٢٥/ ٤٤٢).

(١٥٧) ينظر: الصِّحَاح (٢/ ٦٨١)، ومقاييس اللغة (٣/ ٦٧)، ولسان العرب (٤/ ٣٥٦)، وتاج العروس (١٢/ ٥).

(١٥٨) ينظر: الصِّحَاح (٤/ ١٤٨٣)، ومقاييس اللغة (٢/ ٣٧٦)، ولسان العرب (١٠/ ١٢١)، وتاج العروس (٢٥/ ٣٥٣).

(١٥٩) الخصائص (٢/ ١٦٢).

(١٦٠) ينظر: خصائص الحروف العربية ومعانيها/ ص٢٧١- ٢٧٢.

(١٦١) ينظر: الصِّحَاح (٤/ ١٦٣٢)، ومقاييس اللغة (١/ ٢٠٧)، ولسان العرب (١١/ ٤٧)، وتاج العروس (٢٨/ ٦٢).

(١٦٢) ينظر: الصِّحَاح (٤/ ١٦٣٨)، ومقاييس اللغة (١/ ١٨٧)، ولسان العرب (١١/ ٦٣)، وتاج العروس (٢٨/ ١٠٥).

(١٦٣) ينظر: الصِّحَاح (٤/ ١٦٨٦)، ومقاييس اللغة (٢/ ١٥٥)، ولسان العرب (١١/ ٢١١)، وتاج العروس (٢٨/ ٤١٩).

(١٦٤) ينظر: خصائص الحروف العربية ومعانيها/ ص٢٧٢- ٢٧٣.

(١٦٥) ينظر: الصِّحَاح (٣/ ١٠١٤)، ومقاييس اللغة (٤/ ٤٧٨)، ولسان العرب (٦/ ٣٢٥)، وتاج العروس (١٧/ ٢٩٦).

(١٦٦) ينظر: الصِّحَاح (١/ ٣٨٩)، ومقاييس اللغة (٤/ ٤٣٧)، ولسان العرب (٢/ ٥٤٠).

(١٦٧) ينظر: الصِّحَاح (٣/ ١٠١٥)، ومقاييس اللغة (٤/ ٤٤٠)، ولسان العرب (٦/ ٣٣١)، وتاج العروس (١٦/ ٣١٣).

(١٦٨) ينظر: الصِّحَاح (٣/ ١٠٠١)، ومقاييس اللغة (٢/ ١٠)، ولسان العرب (٦/ ٢٨٣)، وتاج العروس (١٧/ ١٤٣).

(١٦٩) ينظر: خصائص الحروف العربية ومعانيها/ ص٢٦٨- ٢٦٩.

(١٧٠) ينظر: مناهج البحث في اللغة/ ص٢٩٢، والبحث الدلالي في إرشاد العقل السليم/ ص٢٦.

(١٧١) ينظر: اللهجات العربية في القراءات القرآنية/ ص١٥٩، والمنهج الصوتي للبنية العربية/ ص٢٥، والبحث الدلالي في تبيان الطوسي/ ص٣٠.

(١٧٢) المنهج الصوتي للبنية العربية/ ص٩، وينظر: التوجيه الصوتي في دراسة النحو العربي/ ص١٣- ١٤.

(١٧٣) الجواهر في تفسير القرآن الكريم، لطنطاوي جوهري (تفسير الآية الأولى من سورة آل عمران)، نقلاً عن: التفسير والمفسرون (٥/ ٩).

(١٧٤) قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله ﷻ/ ص٥٦٨- ٥٦٩.

(١٧٥) دلائل الإعجاز/ ص٣٩١.

(١٧٦) ينظر: أصالة اللسان العربي/ ص٣٢٥.

(١٧٧) ينظر: جرس الألفاظ/ ص٨٢، وبلاغة الكلمة والجملة/ ص٣٣- ٣٤، والجهود الصَّوتية في كتب البلاغة العربية/ ص٨٩، و١٠٨، والتعبير القرآني والدلالة النفسية/ ص٣١١.

(١٧٨) ينظر: نقد الشعر/ ص٢٦- ٢٧، و١٤١، والنقد اللغوي عند العرب/ ص٢٩٤، وملامح من تاريخ اللغة العربية/ ص١٩١، والجهود الصَّوتية في كتب البلاغة العربية/ ص٩١.

(١٧٩) ينظر: الجهود الصَّوتية في كتب البلاغة العربية/ ص٢١١.

(١٨٠) تنظر على سبيل المثال: [سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ / الآيات: ١٩١- ١٩٤]، و[سُورَةُ مَرْيَمَ / الآيات: ١- ٦].

(١٨١) مباحث في علوم القرآن، للصالح/ ص٣٣٩، وينظر: ص٣٣٧- ٣٣٨، وينظر أيضاً: الجمل في النحو/ ص٢٥٥، والبرهان في علوم القرآن (١/ ٦١)، والجهود الصَّوتية في كتب البلاغة العربية/ ص١٢٦.

(١٨٢) ينظر: الصوت اللغوي في القرآن الكريم/ ص١٩٠، والجهود الصَّوتية في كتب البلاغة العربية/ ص٧٨.

(١٨٣) ينظر: الجهود الصَّوتية في كتب البلاغة العربية/ ص١٢٢- ١٢٣.

(١٨٤) الجرس والإيقاع في التعبير القرآني/ ص٣٣٥، وينظر: ص٣٤٥، والعلاقات الدلالية بين ألفاظ الطبيعة في القرآن الكريم/ ص٨.

(١٨٥) أثر التلوينات الصَّوتية في الدلالة القرآنية/ ص٣٨٢، وينظر: ص٣٨٥، والتصوير الفني/ ص٣٤، و٣٦- ٣٨، و٧٨- ٨٦، وفي ظلال القرآن (٤/ ٤٥١)، والظاهرة الجمالية في القرآن الكريم/ ص١١٨، والإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم (١/ ٢٦٢- ٢٦٣، و٤٠٨)، ومباحث في علوم القرآن، للصالح (٣٣٤- ٣٣٦)، وجرس الألفاظ/ ص٢٨، و٢٨٥، و٣١٣.

(١٨٦) ينظر: الكشاف (٤/ ٦٠٢)، والبحر المحيط (٨/ ٣١٣- ٣١٥)، وفي ظلال القرآن (٧/ ٣٠٩- ٣١٠)، والجهود الصَّوتية في كتب البلاغة العربية/ ص٢٠٢.

(١٨٧) ينظر: الكشاف (٤/ ٢٧٧، و٦٩٨)، ومفاتيح الغيب (٣١/ ٤٦- ٤٧)، والبحر المحيط (٨/ ٤٠٩- ٤١٥)، وروح المعاني (٣٠/ ٣٥)، وفي ظلال القرآن (١/ ٤٤٠- ٤٤٨).

(١٨٨) ينظر: الكشاف (٤/ ٧٠٥)، ومفاتيح الغيب (٣١/ ٥٦- ٥٨)، والبحر المحيط (٨/ ٤١٧- ٤٢١)، وروح المعاني (٣٠/ ٤٨)، وفي ظلال القرآن (٧/ ٤٥١- ٤٦٦).

(١٨٩) يقول رحمه الله: ((العين والقاف لا تدخلان في بناءٍ إلا حسَّنتاه؛ لأنهما أطلقُ الحروف وأضخمُها جرساً، فإذا ٱجتمعا أو أحدُهُما في بناءٍ؛ حسُن البناءُ؛ لنصاعتهما)) [العين (١/ ٥٣)].

(١٩٠) ينظر: الجهود الصَّوتية في كتب البلاغة العربية/ ص١٢٠.

(١٩١) الصورة الفنية في المثل القرآني/ ص٢٣٩، وينظر: المفردات في غريب القرآن (١/ ٥٣٥)، والدلالة النفسية للألفاظ في القرآن الكريم/ ص١٢٠- ١٢١.

(١٩٢) النقد اللغوي عند العرب/ ص٢٩٣.

(١٩٣) بدائع الفوائد (٢/ ٤٧٤)، وينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (٣/ ٢٢٠)، وأصالة اللسان العربي/ ص٣٢٠.

(١٩٤) قد يكون الصواب أن تأتي الألفاظ: (**زاهياً**)، و(**شاحباً**)، و(**شفيفاً**)، و(**كثيفاً**) ضمن السياق المذكورة فيه بالرفع لا النصب، والله أعلم!!

(١٩٥) مباحث في علوم القرآن، للصالح (٣٣٤- ٣٣٦)، وينظر: الكامل في اللغة والأدب (١/ ١٤٦)، والتصوير الفني/ ص٧٨- ٨٦، والظاهرة الجمالية في القرآن الكريم/ ص١١٨، والعلاقات الدلالية بين ألفاظ الطبيعة في القرآن الكريم/ ص٢٣٨.

(١٩٦) الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم/ ص٤٠٨.

(١٩٧) ينظر: الجهود الصَّوتية في كتب البلاغة العربية/ ص٨٩، والتعبير القرآني والدلالة النفسية/ ص٣١١.

(١٩٨) ينظر: دلائل الإعجاز/ ص٣٩١، وشرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك (١/ ١٣- ١٤).

(١٩٩) ينظر: الجهود الصَّوتية في كتب البلاغة العربية/ ص٢٠٨، والإعجاز الصوتي في القرآن الكريم/ ص٩٢، والتعبير القرآني والدلالة النفسية/ ص٣١٩.

(٢٠٠) ينظر: البيان والتبيين (١/ ٢٦)، والمحرر الوجيز (١/ ٤٩)، والإشارة إلى الإيجاز/ ص٧٨، وإعجاز القرآن والبلاغة النبوية/ ص٢٦١- ٢٦٦، وجرس الألفاظ/ ص٢٠٣.

(٢٠١) ينظر: المفردات في غريب القرآن (١/ ٣٨٤)، والجهود الصَّوتية في كتب البلاغة العربية/ ص٢٠١، والتعبير القرآني والدلالة النفسية/ ص٣١١.

(٢٠٢) ينظر: الجهود الصَّوتية في كتب البلاغة العربية/ ص٢٠٤.

(٢٠٣) ينظر: نقد الشعر/ ص١٥، ودلائل الأعجاز/ ص٣٦٢، والجهود الصَّوتية في كتب البلاغة العربية/ ص٩٧، والبناء الصوتي في البيان القرآني/ ص٢٢.

(٢٠٤) ينظر: الصورة الفنية في المثل القرآني/ ص٢٥١، والأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية/ ص٥٤- ٥٥، والجهود الصَّوتية في كتب البلاغة العربية/ ص٢١٢.

(٢٠٥) ينظر: مباحث في إعجاز القرآن (النظم القرآني - جزالته وتناسقه)، ص١٣٦- ١٣٧، والإعجاز الصوتي في القرآن الكريم/ ص٦- ٧، والإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم/ الصفحات: ٢٤٩، و٢٦٢- ٢٦٣، و٤٧٩- ٤٨٠.

(٢٠٦) ينظر: دراسة الصوت اللغوي/ ص١٨٥- ١٨٦، والتوجيه الصوتي في دراسة النحو العربي/ ص١٧- ١٨، وسيأتي بعد قليل بيان مدلولات تلك المفاهيم اللغوية المهمة.

(٢٠٧) ينظر: الصوت والدلالة/ ص١٤٣، ودراسة الصوت اللغوي/ ص١٩٥، والمظاهر الصَّوتية وأثرها في بيان مقاصد التنزيل/ ص٣- ٤.

(٢٠٨) ينظر: التنغيم ودلالته في العربية/ ص٦، والصوت والدلالة/ ص١٤٣.

(٢٠٩) ينظر: اللغة العربية - معناها ومبناها/ ص٢٢٦، والتنغيم اللغوي في القرآن الكريم/ ص٢٧، والبحث الدلالي في تبيان الطوسي/ ص٥٠.

(٢١٠) ينظر: كتاب سيبويه (١/ ٣٣٩)، ومعاني القرآن، للفراء (٢/ ٣٤٣)، و(٣/ ١٠٥)، والخصائص (٢/ ٣٧٢- ٣٧٣).

(٢١١) ينظر: دلائل الإعجاز/ ص٨٨- ٨٩، والتنغيم اللغوي في القرآن الكريم/ ص٤٠ وما بعدها.

(٢١٢) ينظر: الدراسات الصَّوتية عند علماء التجويد/ ص٥٦٧- ٥٦٨، والبحث الدلالي في إرشاد العقل السليم/ ص٤٢- ٤٣.

(٢١٣) ينظر: مناهج البحث في اللغة/ ص١٩٨- ١٩٩، والتنغيم اللغوي في القرآن الكريم/ ص٦٣- ٨٣، و١٥٧، والبحث الدلالي في إرشاد العقل السليم/ ص٢٥- ٢٦، و٤٣- ٤٤.

(٢١٤) (٢/ ٣١٢- ٣١٣).

(٢١٥) الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم/ ص٤٠٨.

(٢١٦) ينظر: المرجع نفسه/ ص٤٦٧- ٤٦٨.

المصادر والمراجع

❖ **القرآن الكريم**.

❖ **أثر التلوينات الصَّوتية في الدلالة القرآنية – دراسة تحليلية أسلوبية «أطروحة دكتوراه»**: أسامة عبد العزيز جاب الله، إشراف: أ. د. محمد أحمد العمروسي/ جامعة طنطا- كلية الآداب، ١٤٢٥هـ/ نيسان ٢٠٠٤م.

❖ **الإحكام في أصول الأحكام**: سيف الدين أبو الحسن علي بن أبي محمد الآمدي، البغدادي (ت٦٣١هـ)، تحقيق: د. سيِّد الجميلي/ دار الكتاب العربي (بيروت)، ط١، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

❖ **الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية**: د. مجيد عبد الحميد ناجي/ المركز العربي للدراسات والنشر (بيروت)، ط١، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

❖ **الأسلوبية الصَّوتية في النظرية والتطبيق**: أ. د. ماهر مهدي هلال/ مجلة آفاق عربية – السنة (١٧)، العدد (١٢)، كانون الأول، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

❖ **أصالة اللسان العربي**: د. جعفر د. الباب/ موقع المكتبة الشاملة على شبكة الإنترنت، (ب. ت).

❖ **أصوات الحروف العربية وإيحاءاتها الحسية والشعورية**: د. حسن عباس/ موقع آتحاد الكُتَّاب العرب على شبكة الإنترنت، مكتبة الأسد (دمشق)، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

❖ **الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم**: أ. د. محمد محمد داود/ عن موقع المكتبة الشاملة على شبكة الإنترنت، (ب. ت).

❖ **إعجاز القرآن والبلاغة النبوية**: الأستاذ مصطفى صادق الرافعي (ت١٣٥٦هـ/ ١٩٣٧م)، مراجعة وضبط: محمد سعيد العريان/ المكتبة التجارية الكبرى بمصر (القاهرة)، ط٨، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٥م.

❖ **الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم**: علي بن نايف الشحود/ موقع المكتبة الشاملة على شبكة الإنترنت، (ب. ت).

❖ **أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء**: قاسم بن عبد الله بن أمير علي القونوي الرومي الحنفي (ت٩٧٨هـ)، تحقيق: يحيى حسن مراد/ دار الكتب العلمية (بيروت)، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م.

❖ **الإيحاء الصوتي في تعبير القرآن**: أ. د. كاصد ياسر حسين الزيدي (ت١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م)، بحث منشور في مجلة العرب (الرياض)، العدد (٦٥)، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م.

❖ **البحث الدلالي في «إرشاد العقل السليم»، لأبي السعود العمادي (ت٩٨٢هـ)، «أطروحة دكتوراه»**: زينب عبد الحسين بلال السلطاني، إشراف: أ. د. كريم حسين ناصح الخالدي/ جامعة بغداد – كلية التربية للبنات (قسم اللغة العربية)، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

❖ **البحث الدلالي في «التبيان في تفسير القرآن»، لأبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت٤٦٠هـ)، «أطروحة دكتوراه»**: آبتهال كاصد ياسر حسين الزيدي، إشراف: أ. م. د. علي جميل السامرائي/ جامعة بغداد – كلية التربية للبنات (قسم اللغة العربية)، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م.

- **البحر المحيط**: أبو حيان الأندلسي (ت٧٤٥هـ)، مراجعة: صدقي محمد جميل/ دار الفكر (بيروت)، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
- **بدائع الفوائد**: أبن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ)، تحقيق: هشام عبد العزيز عطا، وعادل عبد الحميد العدوي/ مكتبة نزار مصطفى الباز (مكَّة المُكرَّمة)، ط١، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.
- **البرهان في علوم القرآن**: الإمام أبو عبد الله بدر الدين محمد بن محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي (ت٧٩٤هـ)، تقديم وتعليق: مصطفى عبد القادر عطا/ دار الفكر (بيروت)، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.
- **بلاغة الكلمة والجملة**: د. منير سلطان/ دار المعارف (الإسكندرية)، ط١/ ١٩٧٧م.
- **البنى والدلالات في لغة القصص القرآني – دراسة فنية «أطروحة دكتوراه»**: عماد عبد يحيى، إشراف: أ. م. د. عبد الوهاب محمد علي العدواني/ جامعة الموصل – كلية الآداب (قسم اللغة العربية)، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
- **البناء الصوتي في البيان القراني**: د. محمد حسن شرشر/ دار الطباعة المحمدية (القاهرة)، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
- **البيان والتبيين**: أبو عثمان عَمْرو بن بحر الجاحظ (ت٢٥٥هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون/ مكتبة الخانجي (القاهرة)، ط٧، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.
- **تاج العروس من جواهر القاموس**: أبو الفيض مرتضى الحسيني الزبيدي (ت١٢٠٥هـ)، دار الفكر (بيروت)، (ب. ت).
- **التصريف الملوكي**: أبو الفتح عُثمان بن جِنِّي الموصلي، النحوي (ت٣٩٢هـ)، تحقيق: محمد سعيد بن مصطفى النعسان، تعليق: أحمد الخاني، ومحيي الدين الجراح/ دار المعارف (دمشق)، ط٢، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.
- **التصوير الفني في القرآن**: الإمام الشهيد سيِّد قطب بن إبراهيم حسين بن شاذلي (ت١٣٨٥هـ/ ١٩٦٦م)، دار المعارف (القاهرة)، (ب. ت).
- **التعبير القرآني والدلالة النفسية «أطروحة دكتوراه»**: عبد الله محمد طلب الجيوسي، إشراف: أ. د. عبد القهار العاني/ الجامعة الإسلامية العالمية (ماليزيا)، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، دار الغوثاني للدراسات القرآنية (دمشق)، ط٢، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.
- **التعريفات**: أبو الحسن علي بن محمد بن علي، الحسيني، الحنفي، المعروف بـ«**الشريف الجرجاني**»، (ت٨١٦هـ)، دار الكتاب العربي (بيروت)، ط١، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
- **التفسير والمفسرون**: أ. د. محمد حسين الذهبي (ت١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م)، دار القلم (بيروت)، ط١، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

❖ **التنغيم اللغوي في القرآن الكريم**: د. سمير إبراهيم وحيد العزاوي/ دار الضياء (عمَّان)، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

❖ **التنغيم ودلالته في العربية**: يوسف عبد الله الجوارنة/ عن موقع المكتبة الشاملة على شبكة الإنترنت، (ب. ت).

❖ **التوجيه الصوتي في دراسة النحو العربي «علامات الإعراب والبناء أنموذجاً»، «أطروحة دكتوراه»**: عقيل رحيم علي اللامي، إشراف: أ. د. محمد ضاري حمادي/ جامعة بغداد – كلية الآداب (قسم اللغة العربية)، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

❖ **التوقيف على مُهمَّات التعاريف**: زين الدين محمد عبد الرؤوف المُنَّاوي (ت١٠٣١هـ)، تحقيق: د. محمد رضوان الداية/ دار الفكر (دمشق)، ط١/ ١٤١٠هـ.

❖ **جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب**: أ. د. ماهر مهدي هلال/ دار الحرية للطباعة (بغداد)، ط١/ ١٩٨٠م.

❖ **الجرس والإيقاع في التعبير القرآني**: أ. د. كاصد ياسر حسين الزيدي (ت١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م)، مجلة آداب الرافدين، العدد (٩)، ١٣٩٨هـ/ أيلول ١٩٧٨م.

❖ **الجهود الصَّوتية في كتب البلاغة العربية من القرن الثالث حتى القرن السابع الهجري «أطروحة دكتوراه»**: حسن أحمد مهاوش العزاوي، إشراف: أ. د. أحمد شاكر غضيب/ جامعة بغداد – كلية التربية ٱبن رشد (قسم اللغة العربية)، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

❖ **الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة**: زين الدين أبو يحيى زكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري (ت٩٢٦هـ)، تحقيق: أ. د. مازن المبارك/ دار الفكر المعاصر (بيروت)، ط١، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

❖ **الحرف العربي بين الأصالة والحداثة**: د. حسن عباس/ موقع ٱتحاد الكُتَّاب العرب على شبكة الإنترنت، مكتبة الأسد (دمشق)، (ب. ت).

❖ **الحرف العربي والشخصية العربية**: د. حسن عباس/ موقع ٱتحاد الكُتَّاب العرب على شبكة الإنترنت، مكتبة الأسد (دمشق)، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

❖ **الخصائص**: أبو الفتح عُثمان بن جِنِّي الموصلي، النحوي (ت٣٩٢هـ)، تحقيق: الشيخ محمد علي النجَّار/ دار الكتب (القاهرة)، ١٣٧١هـ.

❖ **خصائص الحروف العربية ومعانيها**: د. حسن عباس/ موقع ٱتحاد الكتاب العرب على شبكة الإنترنت، مكتبة الأسد (دمشق)، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

❖ **الدراسات الصَّوتية عند علماء التجويد**: د. غانم قدُّوري الحمد/ مطبعة الخلود (بغداد)، ط١، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

❖ **دراسة الصوت اللغوي**: أ. د. أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م)، عالم الكتب (القاهرة)، ط١، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.

❖ **دلائل الإعجاز**: شيخ البلاغيين الإمام عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ)، تحقيق: د. محمد التنجي/ دار الكتاب العربي (بيروت)، ط١/ ١٩٩٥م.

❖ **دلالة الألفاظ**: أ. د. إبراهيم أنيس/ مطبعة أبناء وهبة حسَّان (القاهرة)، ١٩٧٧م.

❖ **الدلالة النفسية للألفاظ في القرآن الكريم «أطروحة دكتوراه»**: محمد جعفر محيسن العارضي، إشراف: أ. م. د. حاكم مالك لعيبي الزَّيَّادي/ جامعة القادسية - كلية الآداب (قسم اللغة العربية)، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

❖ **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الشهير بـ«تفسير الآلوسي»**: أبو الثناء الآلوسي البغدادي (ت١٢٧٠هـ)، دار إحياء التراث العربي (بيروت)، ط٢، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

❖ **سرُّ الفصاحة**: أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي (ت٤٦٦هـ)، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط١، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

❖ **شرح ٱبن عقيل على ألفية ٱبن مالك**: قاضي القضاة بهاء الدين بن عقيل العقيلي، الهمداني، المصري (ت٧٦٩هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد/ دار التراث (القاهرة)، ط٢٠، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

❖ **الشفاء**: الفيلسوف الرئيس شرف الملك أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا البلخي (ت٤٢٨هـ)، تحقيق: محمود الخضيري/ دار الكتاب العربي (القاهرة)، (ب. ت).

❖ **الصِّحَاح (تاج اللغة وصِحَاح العربية)**: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، الفارابي (ت٣٩٣هـ)- تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار/ دار العلم للملايين (بيروت)، ط٢، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

❖ **الصوت اللغوي في القرآن الكريم**: أ. د. محمد حسين علي الصغير/ دار المؤرخ العربي (بيروت)، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

❖ **الصوت والدلالة - دراسة في ضوء التراث وعلم اللغة الحديث**: د. محمد بوعمامة/ موقع المكتبة الشاملة على شبكة الإنترنت، (ب. ت).

❖ **الصورة الفنية في المثل القرآني - دراسة نقدية بلاغية**: أ. د. محمد حسين علي الصغير/ دار الرشيد (بغداد)، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

❖ **العلاقات الدلالية بين ألفاظ الطبيعة في القرآن الكريم «رسالة ماجستير»**: آلان سمين مجيد زنـــنة، إشراف: أ. د. كاصد ياسر حسين الزيدي/ جامعة بغداد - كلية التربية للبنات (قسم اللغة العربية)، رجب ١٤٢٣هـ/ أيلول ٢٠٠٢م.

❖ **علم الدلالة - أصوله ومباحثه في التراث العربي**: د. منقور عبد الجليل/ موقع ٱتحاد الكُتَّاب العرب على شبكة الإنترنت، مكتبة الأسد (دمشق)، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

❖ **علم اللغة العربية – مدخل تاريخي مقارن في ضوء التراث واللغات السامية**: أ. د. محمود فهمي حجازي/ دار غريب (القاهرة)، ط١، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

❖ **العين**: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عَمْرو بن تميم الفراهيدي، الأزدي، اليحمدي (ت١٧٠هـ)، تحقيق: أ. د. مهدي المخزومي، أ. د. إبراهيم السامرائي/ دار الرشيد (بغداد)، ١٩٨٠- ١٩٨٢م.

❖ **فقه اللغة وخصائص العربية**: أ. د. محمد المبارك/ دار الفكر الحديث (بيروت)، ط٢/ ١٩٦٤م.

❖ **الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية**: جرجي بن حبيب زيدان اللبناني (ت١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م)، مراجعة وتعليق: د. مراد كامل/ دار الحداثة (بيروت)، ط٢، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

❖ **في ظلال القرآن**: الإمام الشهيد سيد قطب بن إبراهيم حسين بن شاذلي (ت١٣٨٥هـ/ ١٩٦٦م)، دار الشروق (بيروت)، (القاهرة)، ط١٧، ١٤١٢هـ.

❖ **في فلسفة اللغة**: كمال الحاج/ دار النهار (بيروت)، ط٢، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٧م.

❖ **قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل**: تأمُّلات الشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني/ دار القلم (دمشق)، والدار الشامية (بيروت)، ط٤، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

❖ **الكامل في اللغة والأدب**: أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي، الأزدي، المعروف بـ«**المبرد**»، (ت٢٨٦هـ)، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم/ دار الفكر العربي (القاهرة)، ط٣، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

❖ **كتاب سيبويه**: أبو البِشْر عَمْرو بن عثمان، المُلقَّب بـ«**سيبويه**»، (ت١٨٠هـ)، طبعة بولاق (القاهرة)، ١٣١٧هـ.

❖ **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الشهير بـ«تفسير الزمخشري»**: أبو القاسم محمود بن عمر بن أحمد جار الله الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، دار المعرفة (بيروت)، ط٣، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م.

❖ **الكُلِّيات (معجم الفروق والمصطلحات اللغوية)**: أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني، القريمي، الكفوي (ت١٠٩٤هـ)، تحقيق: د.عدنان درويش، ومحمد المصري/ مؤسسة الرسالة (بيروت)، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

❖ **لسان العرب**: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأنصاري، الإفريقي، المصري (ت٧١١هـ)، دار الفكر (بيروت)، ط١، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

❖ **اللغة**: الأستاذ جوزيف فندريس (Joseph Vendryes)، تعريب: عبد الحميد الدواخلي، د. محمد القصاص/ مطبعة لجنة البيان العربي (القاهرة)، ١٩٥٠م.

❖ **اللغة العربية – معناها ومبناها**: أ. د. تمَّام حسَّان/ الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة)، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

❖ **اللغة العربية ومكانتها بين اللغات**: أ. د. فرحان السليم/ موقع المكتبة الشاملة على شبكة الإنترنت، (ب. ت).

- **اللهجات العربية في القراءات القرآنية**: أ. د. عبدُه الراجحي/ دار المعرفة الجامعية (الإسكندرية)، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.
- **مباحث في إعجاز القرآن**: أ. د. مصطفى مسلم/ دار القلم (دمشق)، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.
- **مباحث في علم اللغة واللسانيات**: أ. د. رشيد عبد الرحمن العبيدي/ دار الشؤون الثقافية (بغداد)، ط١، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.
- **مباحث في علوم القرآن**: أ. د. صبحي الصالح (ت١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م)، دار العلم للملايين (بيروت)، ط١٨، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.
- **مبادئ اللسانيات**: أحمد قدُّورة/ دار الفكر (دمشق)، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.
- **مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو**: أ. د. مهدي المخزومي/ مطبعة مصطفى البابي الحلبي (القاهرة)، ط٢، ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٨م.
- **المظاهر الصَّوتية وأثرها في بيان مقاصد التنزيل**: بحث أعدَّه الطيب دبَّه/ موقع المكتبة الشاملة على شبكة الإنترنت، (ب. ت).
- **معاني الحروف العربية على واقع المعاجم اللغوية**: د. حسن عباس/ موقع آتحاد الكتاب العرب على شبكة الإنترنت، مكتبة الأسد (دمشق)، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.
- **المعجم العربي – نشأته وتطوره «أصله أطروحة دكتوراه»**: د. حسين نصَّار/ دار الرائد العربي (بيروت)، ط١، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
- **مفاتيح الغيب، الشهير بـ«تفسير الفخر الرازي»، أو«التفسير الكبير»**: أبو عبد الله فخر الدين بن الخطيب بن محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن التيمي، البكري، الملقب بـ«**فخر الدين الرازي**»، (ت٦٠٦هـ)، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.
- **المفردات في غريب القرآن**: أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داودي/ دار القلم (دمشق)، والدار الشامية (بيروت)، ط٤، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م.
- **مقاييس اللغة**: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني، الرازي (ت٣٩٥هـ)، تحقيق وضبط: عبد السلام هارون/ دار الفكر (بيروت)، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.
- **مُقدِّمة لدرس لغة العرب**: الأستاذ عبد الله العلايلي، تحقيق: د. أسعد علي/ مكتبة التراث الإسلامي (القاهرة)، ط١/ ١٩٦٨م.
- **ملامح من تاريخ اللغة العربية**: أ. د. أحمد نصيف الجنابي/ دار الرشيد (بغداد)، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.
- **مناهج البحث في اللغة**: أ. د. تمام حسَّان/ دار الثقافة (الدار البيضاء – المغرب)، ط٢، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.
- **مناهل العرفان في علوم القرآن**: الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني (ت١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م)، تحقيق: الشيخ سليم الكردي/ دار إحياء التراث العربي (بيروت)، (ب. ت).

❖ **منطق المشرقيين**: الفيلسوف الرئيس شرف الملك أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا البلخي (ت٤٢٨هـ)، دار الحداثة (بيروت)، ط١، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

❖ **المنهج الصوتي للبنية العربية – رؤية جديدة في الصرف العربي**: أ. د. عبد الصبور شاهين/ مؤسسة الرسالة (بيروت)، ط١، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

❖ **النشر في القراءات العشر**: شمس الدين بن الجَزَري الدمشقي، الشافعي (ت٨٣٣هـ)، إشراف وتصحيح ومراجعة: الشيخ علي محمد الضباع/ المكتب المصري الحديث، مجمع البحوث الإسلامية في الأزهر (القاهرة)، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م.

❖ **نظريات في اللغة**: د. أنيس فريحة/ دار الكتاب اللبناني (بيروت)، ط٢، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

❖ **نقد الشعر**: أبو الفرج قُدامة بن جعفر بن قُدامة بن زياد البغدادي (ت٣٣٧هـ) تحقيق: كمال الدين مصطفى/ مكتبة الخانجي (القاهرة)، ط١، ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م.

❖ **النقد اللغوي عند العرب حتى نهاية القرن السابع الهجري**: أ. د. نعمة رحيم العزاوي/ دار الحرية (بغداد)، ط١، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.